الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف -المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ
رقم:1435094151

إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني في بلاد الشام

(1876-1909م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ
تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

إعداد الطالبة:
* خديجة كريكب

تحت إشراف:
*د.عيسى بن قبي

أعضاء اللجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ	الجامعة	الرتبة
د.محمود بوكسيبة	جامعة محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
د.عيسى بن قبي	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
د. مصطفى عبيد	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية 2018-2019

اللهم أرزق قارئنا فتوح العارفين و صحبة

الصالحين و شهادة المجاهدين و علوم الأنبياء

و المرسلين و عمر نوح و بشرى يعقوب و حلم إبراهيم

و غنى سليمان و جمال يوسف و قوة موسى وصبر أيوب و بلاغة هارون

و شفاعة محمد صلى الله عليه و سلم

يا رب العالمين.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يقول الله تعالى:

(فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون) البقرة الآية 152

- الشكر أولاً لله عزّوجل الذي أعانني على كتابة هذا البحث

- أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي القدير ومشرفي الفاضل الدكتور " عيسى بن قبي" لإشرافه على هذه الرسالة وما بذله معي من جهد وإرشاده ولما منحني من علمه ووقته طوال فترة إعداد هذه الرسالة حتى بدت كما هي عليه ، فله مني كل التقدير والاحترام.

- كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرين

- إلى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث ، وأخص بالذكر زملائي وزميلاتي وطاقم مكتبة النجاح

ولكل من استحق الشكر جزاكم الله جميعاً عني كل خير.

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) سورة التوبة الآية 105 .

– صدق الله العظيم–

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلى بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

– الله جل جلاله–

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمي

– سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم–

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار ، أرجو من الله ان يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار

" أبـــي العزيز"

إلى ملاكي في الحياة وإلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني وغلى سمة الحياة وسر الوجود ، إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي ، إلى أغلى الحبايب

" أمـــــي الحبيبة"

كما اهدي ثمرة جهدي لأستاذي الكريم الدكتور" عيسى بن قبي" الذي كلما تظللت الطريق أمامي لجات إليه فأنارها لي بالرغم من مسؤولياته المتعددة فأتمنى له كل الخير.

أخي "إسلام" رحمه الله

إلى أعز وأغلى هبة من الخالق اللواتي لا تكتمل سعادتي إلا معهن

"سلسبيل، أنفال، هديل"

وإلى زوجات أعمامي " حليمة وخديجة"، وإلى ابنة خالتي " أمباركة"

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي ، إلى من تحلو بالاخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء ، إلى ينابيع الصدق الصافي ، إلى من معهم سعدت ولرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت ، إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير.

" سعدة، بريزة، نوال، سلاف، هدى، خليصة، لمياء "

كما أهدي هذا العمل إلى طاقم مكتبة النجاح بومدين حفظه الله.

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري
ع	عدد
د.م	دون مكان
د.ت	دون تاريخ
د.ن	دون ناشر
تق	تقديم
تح	تحقيق
مر	مراجعة
تعل	تعليق
ج	جزء
مج	مجلد

مقدمة

مقدمة

بلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها وقوتها خلال القرن الـ 15م ، بحيث أصبحت إمبراطورية مترامية الأطراف وأضحت قوة من الناحية السياسية والعسكرية ،(لكن كما يقال دوام الحال من المحال فمع مطلع القرن الثامن عشر بدا الضعف يدب إلى داخل كيان هذه الدولة ليصل إلى درجة متقدمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ولتدارك الوضع برزت محاولات إصلاح كانت بدايتها مع السلطان سليم الثالث، ولما تولّى السلطان عبد الحميد الثاني الحكم عام 1876م، حاول أن يعطي نوعاً من الجدية لهذه الإصلاحات ويجعلها أكثر فعالية ونجاعة ، وفي هذا الصدد أعطى لبلاد الشام أهمية خاصة كونها تمتلك موقعاً استراتيجياً هاماً ، وسعى من خلال هذه الإصلاحات النهوض بالدولة العثمانية عامة وبلاد الشام خاصةً.

❖ **أهمية الموضوع:**

يكتسي هذا الموضوع أهمية بالغة فهو يندرج في إطار دراسة فترة هامة من تاريخ الدولة العثمانية ،والتي تميزت بالضعف، ولمحاولة تدارك هذا الوضع أصدر السلطان عبد الحميد الثاني مجموعة من الإصلاحات الهامة .

❖ **أسباب اختيار الموضوع:**

هناك العديد من الأسباب التي دفعتني في اختيار هذا الموضوع منها ماهو موضوعي ، ومنها ما هو ذاتي:

أ/- الدوافع الموضوعية:

- الرغبة في معرفة أوضاع بلاد الشام في فترة ضعف الدولة العثمانية ، واهم الإصلاحات التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني في تلك الفترة.

- محاولة الكشف عن أهمية الإصلاحات في فترة السلطان عبد الحميد الثاني ، والتي شكّلت مرحلة جديدة من مراحل حركات الإصلاح العثماني.

- الرغبة في توضيح ما يحمله هذا الموضوع من أهمية كون هذه الإصلاحات قد مسّت جزء من البلاد العربية والمتمثلة في بلاد الشام.

ب/- الدوافع الذاتية:

- الرغبة والميل في دراسة تاريخ الدولة العثمانية ، وخاصة فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني.

- محاولة معرفة جزء من تاريخ المشرق العربي الحديث في فترة حكم الدولة العثمانية.

❖ **حدود الدراسة:**

ينحصر موضوع هذه الدراسة في إطار زماني من (1876-1909م)، ويمثل بدايته تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم ، حيث كانت هذه الفترة تمثل فترة ضعف الدولة العثمانية، ويمثل نهايته خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم، وتولي جمعية الاتحاد والترقي زمام الحكم.

❖ **الإشكالية:**

قام السلطان عبد الحميد الثاني بإصلاحات حاول من خلالها تدارك الوضع، وتجنب الهفوات والعوامل التي أفشلت الإصلاحات السابقة، ومثّلت بلاد الشام نقطة الارتكاز في هذه الدراسة نظراً لخصوصيتها ولقربها من مقر الخلافة ، فمن خلال هذه الدراسة نطرح التساؤلات التالية:

- فيما تمثلت الإصلاحات التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني في بلاد الشام وما هي الأثار التي خلفتها هناك؟

وقد تفرعت عنه جملة من التساؤلات والتي هي: كيف كانت أوضاع الدولة العثمانية خلال إصدار هذه الإصلاحات ؟وما هي أهم المجالات التي مسّتها هذه الإصلاحات في بلاد الشام؟ وما مدى تأثيرها؟

❖ **المنهج المتبع:**

وللإجابة على هذه التساؤلات والإلمام بجوانب الموضوع ، تم إتباع المنهج التاريخي الوصفي لأنه الأنسب لوصف الأحداث التاريخية وتتابعها، حيث تم وصف أوضاع الدولة العثمانية.

بالإضافة إلى المنهج التحليلي، وذلك من خلال تتبع الوقائع والأحداث بشكل دقيق ومفصل ثم الوقوف على جزئياتها لتحليلها إلى نتائج من أجل الوصول إلى حقائق تاريخية.

❖ **خطة البحث:**

وتبعا لما توفر من مادة علمية قمت بضبط خطة تشكلت من مقدمة وفصلين ثم خاتمة، حيث تطرقت الدراسة في المقدمة إلى التعريف بالموضوع .

ثم عنونت **الفصل الأول** بـ" السلطان عبد الحميد الثاني وواقع الدولة العثمانية خلال القرن 19م" جاء تحته ثلاث مباحث ، تطرقت إلى شخصية السلطان عبد الحميد الثاني الذي تولى السلطة في فترة بدأ الضعف يدّب داخل الدولة ، بالإضافة إلى المكائد التي أُحيكت من اجل خلعه، كما حاولت الكشف عن أوضاع الدولة العثمانية عامةً ، وما كانت تعانيه من حروب وإنفصالات داخلها ، ثم انتقل إلى أوضاع بلاد الشام وما شهدته من اضطرابات وفتن طائفية.

أما الفصل الثاني والذي كان بعنوان: "إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني في بلاد الشام" ، حيث قسمته أربع مباحث حيث استعرضت فيه تعريف الإصلاحات العثمانية وبدايتها وأهم الإصلاحات التي أ صدرها السلاطين في القرن الـ19م، كما حاولت فيه الكشف عن أهم الإصلاحات السياسية والإدارية والعسكرية والمتمثلة في التقسيمات الإدارية و إقامة الثكنات وبناء المدارس العسكرية ، ثم انتقلت إلى الحديث عن الإصلاحات الاقتصادية بداية من الإصلاح في ميدان التجارة والصناعة والزراعة وتطويرها ثم انتقلت إلى الإصلاحات في المجال الثقافي والاجتماعي وذلك من خلال اهتمامه بنشر التعليم وبناء المدارس وتطويرها .

❖ **المصادر والمراجع:**

اعتمدت في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، والذي أفادني في الفصل الأول من خلاله التعريف بشخصية السلطان وبعض تفاصيل حياته.

- تاريخ الدولة العلية العثمانية لمؤلفه المحامي محمد فريد بك، والذي ساعدني في إيضاح أوضاع الدولة العثمانية في القرن الـ 19م.

- مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني السياسية ، الذي استعملته لمعرفة ظروف تولي السلطان الحكم وظروف خلعه.

أما المراجع:

- كتاب الإدارة العثمانية في ولاية سورية(1864-1914م) لـ عبد العزيز محمد عوض، والذي اعتمدت عليه في الفصل الثاني ، حيث أعانني بشكل كبير في الإصلاحات في جميع المجالات.

- كتاب دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني (1864-1908م) لـ ماري دكران سركو ، والذي أفادني هو كذلك في الفصل الثاني في جميع الإصلاحات.

❖ **الصعوبات:**

وقد واجهتني في هذه الدراسة جملة من الصعوبات:

1- قلة المصادر والمراجع المتخصصة في الموضوع.

2- صعوبة الوصول للوثائق الأرشيفية العثمانية ، وأهم المصادر الغير متاحة في مكتبتنا ولا يتم تحميلها.

3- تزامن إنجاز بحثي مع ظروف عائلية صعبة.

الفصل الأول:

السلطان عبد الحميد الثاني وواقع الدولة العثمانية خلال القرن 19م

المبحث الأول: التعريف بالسلطان عبد الحميد الثاني

المبحث الثاني: أوضاع الدولة العثمانية (داخليا-خارجيا)

المبحث الثالث: أوضاع بلاد الشام قبيل عهد عبد الحميد الثاني

المبحث الأول: التعريف بالسلطان عبد الحميد الثاني

ولد السلطان عبد الحميد الثاني في 16 شعبان 1258هـ- 21 سبتمبر أيلول 1842هـ والده هو السلطان عبد المجيد[1] (1839-1861م) وأمه تيرمز كان أفندي[2]بويع بالخلافة بعد أخيه مراد[3] يوم الخميس في 31 آب عام 1876 وكان عمره آنذاك أربعة وثلاثين سنة[4] "ماتت أم عبد الحميد وهو في العاشرة من عمره فاعتنت به الزوجة الثانية لأبيه وكانت عقيم فأحسنت تربية الطفل اليتيم عبد الحميد وحاولت أن تنسيه حنان أمه ببذل حنانها إليه كما أوصت بميراثها له تعلم عبد الحميد تعليما منتظما في القصر السلطاني بالإضافة إلى أن معلميه في القصر كانوا من ابرز رجالات عصره علما وخلقا[5].(أنظر الملحق رقم 01).

"وكان وهو صغير يتلقى دروسا في اللغات التركية والعربية والفارسية والفرنسية وكان عمه السلطان عبد العزيز أول من أدرك ذكاؤه الفائق ومواهبه وتركه عبد العزيز يكبر في بيئة مريحة وكان يصطحبه معه في رحلاته إلى الخارج وفيما كان شقيقه الأكبر مراد الخامس بحب اللهو وطراز الحياة الأوربية وكان الحميد بعمل في مزرعة ما حي "مسلخ

---

[1] – السلطان عبد المجيد (1823-1861م)، هو الذي اقترنت باسمه حركة التنظيمات العثمانية، التف حوله الوزراء المبهرون بالحضارة الغربية ، وبدأت في عهده مظاهر الحضارة الغربية تغزو الدولة العثمانية.ينظر، موفق بني المرجة،صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، دار الكويت للصحافة، الكويت ، 1948م، ص 55.

[2] – مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني،ط1، تر، صالح سعداوي، دار البشير ،الأردن، 1991م، ص 11.

[3] – السلطان مراد، وهو السلطان، الثالث والثلاثين من سلاطين الدولة العثمانية، ولد عام 1840م ، وتولى السلطة وعمره 36 سنة ، حكم 93 يوماً ، تولى السلطة بعد عزل السلطان عبد العزيز، توفي عام 1904م.ينظر، موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص 55.

[4] – السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، ط2، مؤسسة الرسالة ، سوريا، 1979م، ص 11.

[5] – محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، آخر سلاطين الدولة الكبار، ط1، دار القلم، دمشق، 1990م، ص 31.

"باسطنبول [1]" "والمشهور عنه انه كان يجيد فن النجارة ويستهويه حفر الخشب وكانت له ورشة نجارة خاصة به بصنع فيها في أوقات فراغه أدوات خشبية يهديها للمقربين إليه ولأقاربه "[2]

كان عبد الحميد شخصية قوية منذ صغره كان متدينا وسط جو أوربي يعيشه أمراء القصر السلطاني حريصا على أداء الصلاة في أوقاتها عفيف لا يشرب الخمر "فالإسلام عنده هو الاستسلام التام لله الأساس فيه الإيمان ويكفي المرء أن يقول معتقدا "لا اله إلا الله محمد رسول الله " وقد عرف الإنسان ربه عن طريق الوحي فمن امن به اسلم .فعلى سفرائنا أن يوضحوا هذا الأمر للأوربيين وإذا احتاج الأمر إلى إعلامنا فليعلمونا في حالات استثنائية ويقول أيضا :نرجو لكل من أدرك جمال الإسلام وغاص في أعماقه أن يهديه الله فيعتنق هذا الدين الحنيف [3].

كان السلطان عبد الحميد يمنع تدخل نساء القصر في السياسة أو شؤون الدولة منعا باتا ، "فكان ما فعله في اليوم التالي لتوليه العرش أن قبل يد رابته وقال لها :إنني لم أشعر في يوم من الأيام بحرماني من والدتي وأنت في نظري مثلما تماما لا فرق بينكما، وسوف يكون من حقك استخدام كل صلاحيات الوالدة في السراي، غير أنني أرجو منك بصورة خاصة أن تتجنبي التدخل في شؤون الدولة"[4].(ينظر الملحق رقم 02).

"كذلك من أهم الصفات التي تميز بها السلطان عبد الحميد الشجاعة فكان شجاعا منها موقفه حيال محاولة اغتياله بعد انفجار القنبلة فقد واجه السلطان الحادث بشجاعة أدهشت رجال السلك السياسي الأجانب، في حفل الاستقبال في قصر "ضلما بغشة"عام

[1] – صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية،ط1،تر، منى جمال الدين، دار النيل، مصر، 2014م، ص 311.

[2] – محمد حرب، المرجع السابق، ص 32.

[3] – السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 178.

[4] – الأميرة عائشة عثمان أوغلي، المصدر السابق، ص ص 68-69.

1904م، حيث كان يستقبل الضيوف من أنحاء العالم وقع زلزال شديد تحطمت النوافذ واتسعت الأرض وتهاوت الشرفات وقفز الوزراء والباشوات من النوافذ وقد استولى الذعر على كل الموجودين ماعدا عبد الحميد الذي ظل واقفا منتصبا رابط الجأش وسط الغرفة المتأرجحة "[1] كما كان لعبد الحميد اهتمام بالسلاح وكان يجيد استخدام السيف وإصابة الهدف بالبطبنجية "المسدس" و يثابر على الرياضة البدنية وبجانب كان له اهتمام منتظم بمعرفة أخبار السياسة العالمية ومكانة بلاده فيها كما كان له أتباع بكلفهم بجمع الصحف والمجالات الأوربية لقراءاتها ثم ترجمتها له كان يحب قراءة الدوريات[2].

- جمعية الاتحاد والترقي ودورها في خلع السلطان عبد الحميد الثاني:

وبدءا من النصف الثاني من القرن الـ 19م تألفت الجمعيات العلنية خارج حدود الدولة من العثمانيين المنفيين استهدفت حكم السلطان عبد الحميد الثاني ، كما تشكلت جمعيات سرية داخل البلاد وأخذت تظهر مساوئ الحكم المطلق وتحرض الناس على استنكاره ، والمطالبة بالحكم الدستوري عن طريق إعادة العمل بالقانون الأساسي[3]، وأبرز هذه الجمعيات هي:

- جمعية الاتحاد والترقي:

---

[1] – أنور الجندي، السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، ط1، دار ابن زيدون، لبنان، 1407هـ، ص ص 110-111.

[2] – محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين الكبار، المرجع السابق، ص 32.

[3] – محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،ط3، دار النفائس، لبنان، 2013م، ص 506.

والتي عُرفت بهذا الاسم باسطنبول سنة 1889م، كعمل منظم وهي الجهة التنفيذية لحزب تركيا الفتاة ، الذي أُسس سنة 1865م وكانت نواتها الأولى عدداً قليلاً من تلامذة مدارس الطب العسكري[1].

واتخذ في قبول الأعضاء وإدخالهم في هذه الجمعية طرقاً تشبه طرق الماسونية، وزادوا عليهم أسلوباً غريباً يأمن به الداخل كشف أمره حتى بين أعضاء الجمعية، بحيث أن العضو الواحد لا يعرف إلاّ من العضو الذي أدخله والعضو الذي توسط في إدخاله[2]. وكان عمل الجمعية في سرية بالغة خشية كشف أمرها من قبل السلطان عبد الحميد الثاني ، وكانت تحظى بدعم الدول الأوروبية التي تهدف إلى التخلص من الدولة العثمانية ولا سيما فرنسا وبريطانيا ، وكلما شعر أعضاء هذه الجمعية بمتابعة أحوال السلطان هربوا إلى تلك الدولة التي تقدم لهم الحماية والتسهيلات اللازمة[3].

كما عقدوا مؤتمرهم الأول في باريس سنة1902 وأعلنوا فيه عن شعار الجمعية والذي استمدوه من مبادئ الماسونية والثورة الفرنسية،وكان هذا الشعار سببا من أسباب دعم الدول الأوروبية للجمعية.[4]

بالإضافة إلى دعم الدول الأوروبية للجمعية كان لليهود كذلك دور كبير في دعم هذه الجمعية، فقد نجح اليهود في إخراج جمعية الاتحاد والترقي إلى ملعب أهوائهم السياسية، وقد

---

[1] – إسماعيل نوري الدوري، محمود شوكت خديعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، مجلة تكوين العلوم الإنسانية،مج16،(د.م)، ع3، 2009م، ص 342.

[2] – عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر ، (د.ت)، ص 143.

[3] – إسماعيل نوري الدوري، المرجع السابق، ص 342.

[4] –المرجع نفسه، ص 342.

كانت هذه الجمعية هي القناع الخارجي الذي تقنعت به جماعة الدونمة[1]،وكان اليهود يرون أن الدولة العثمانية خطرا على مستقبلهم[2].

كما أن جماعة الاتحاد والترقي قد تآمروا على خلع السلطان عبد الحميد الثاني ولفقوا له تاريخا مليئا بالافتراءات، درس في المدارس والجامعات وشحنوا به الكتب المدرسية والصحف والمجلات، وما كل ذلك إلا لان السلطان عبد الحميد رفض تسليم فلسطين لليهود[3] وبعد رفضه لمتطلبات اليهود وجماعة الاتحاد والترقي في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وموقفه الرافض لأي إغراءات مادية ،اتفقوا على خلعه وابلغوه أنهم سيبعدونه إلى سلانيك[4] فقبل السلطان بهذا التكليف الأخير [5].

وفي يوم 28 أبريل سنة 1909 أزيح السلطان عبد الحميد الثاني عن الخلافة وأرسل منفيا إلى سلانيك حيث بقي عدة سنوات هناك ،وسمح له بثلاث سلطانات وحاشية لا تتجاوز الثلاثين شخصا ،وتوفي سنة 1918 في قصر بكلربكي.[6]

ونتيجة لكل هذا نقول أن السلطان عبد الحميد الثاني كان شخصية إسلامية، تميز بالقوة والشجاعة والحنكة السياسية، حيث دامت فترة حكمه ما يقارب الـ 38 سنة ، إلا أنه

---

[1] – **الدونمة Donmeh**، كلمة تركية مركبة من جزئين " دو" بمعنى اثنين (فارسية الأصل)" و " نمة" بمعنى نوع ، ومعنى الكلمة الفرقة القائمة على نوعين من الأصول : النوع اليهودي والنوع الإسلامي، وقد اطلق الأتراك على اليهود المتظاهرين بالإسلام عبارة دونمة وتعني المرتدون عن دينهم.ينظر، الهام محمود كاظم، دور يهود الدونمة في انهيار الدولة العثمانية، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، بغداد،ع7،2012م، ص 158.

[2] –أنور الجندي، المرجع السابق، ص ص 105–106.

[3] –السيّد محمد الدقن، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، مصر ، (د.ت)، ص 118.

[4] – **سلانيك**، أو سالونيك ، مدينة يونانية كانت تحت الحكم العثماني.ينظر، السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 37.

[5] – المصدر نفسه، ص 37.

[6] – محمد قربان نيازملا، السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية،ط1، دار البشائر الإسلامية، لبنان، 1977م، ص ص 92–93.

تعرض لمؤامرات داخلية وخارجية أجبرته على التخلي عن الحكم، كما تعرض أيضا لانتقادات واتهامات كبيرة من طرف بعض الباحثين والمؤرخين ، وكان لجماعة الاتحاد والترقي واليهود عموماً ، والدونمة خصوصاً الدور الكبير في خلعه.

المبحث الثاني: أوضاع الدولة العثمانية في القرن الـ 19م

- الحركة الوهابية :

الوهابية نسبة إلى الشيخ محمد ابن عبد الوهاب[1] 1115 هـ 1703م /1206هـ-1792م وهي حركة إصلاحية دينية ظهرت في القرن الثاني عشر هجري الموافق للقرن الـ 18م[2] والوهابيون قوم من العرب اتبعوا طريقة عبد الوهاب الذي أنشأ مذهبا مستقلا وقرره لتلامذته فاتبعوه ودخل الناس فيه بكثرة وشاع أمره في نجد والإحساء والقطيف وكثير من بلاد العرب[3] ، وتعتبر الحركة الوهابية أول حادث كبير هز علاقة الارتباط بين الدولة العثمانية والبلاد العربية وليس ذلك راجعا إلى كونها حركة قومية لان الحركة الوهابية قامت على أساس ديني خالص ذلك أن العقيدة من ذلك الزمن كانت العامل الأقوى في توجيه الناس إلى الأهداف السياسية ولكن يرجع ذلك إلى أنها كانت أول صوت عربي شديد بدا بمحاولة إعادة السلطان إلى العرب "[4].

---

[1] – محمد بن عبد الوهاب، ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيت علم في بلدة العينية سنة 1115هـ-1703م ، تلقى تعليمه الأول على يد والده وحفظ القرآن الكريم في صغره، توفي سنة 1206هـ-1792م.ينظر ، ياسين بن علي ، خروج الوهابية عن الخلافة العثمانية، مجلة الزيتونة،(د.م)، 2014م، ص 14.

[2] – المرجع نفسه، ص 38.

[3] – محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، (د.ت)، ص 288.

[4] – السيد محمد الدقن، المرجع السابق، ص 82.

" ولم يظهر الباب العالي في السنوات الأولى أي رد فعل بموجب السياسة العثمانية والتي ترى عدم التدخل في شؤون المذاهب ولكن عندما أخذت الحركة الوهابية في الانتشار خارج نجد، فرأت الدولة العثمانية أنه لا بدّ من اتخاذ التدابير اللازمة.[1]

" فرأى السلطان محمود أن من الضروري قمع هذه الفئة التي يخشى من امتدادها على تفريق كلمة الإسلام الأمر الذي جعله الأوربيون مطمح أنضارهم للتمكن من فصم عرى اتحادهم وامتلاك بلادهم "[2]

"فقررت الدولة العثمانية أن تكلف واليها في مصر للقيام بمهمة القضاء على الدعوة الوهابية أو الدولة السعودية الأولى وبعد حملات متعددة استطاع والي مصر محمد علي أن يخرج الوهابية من مكة والمدينة ثم تمكن ابنه إبراهيم باشا (1233هـ-1818م) من افتكاك الدرعية معقل الوهابية وانتهت الحملة بتسليم عبد الله بن سعود لنفسه فاخذ إلى اسطنبول عاصمة الخلافة حيث قتل هناك، وهكذا انتهت الدولة الوهابية (السعودية الأولى)"[3].

2-المسالة الشرقية:

"يتطابق ما نسميه بالمسالة الشرقية مع جملة من الوقائع التي تدور بين عامي 1774 "معاهدة كوتشوك كاينارجي"و1923 "معاهدة لوزان" وتتلخص السمتان الأساسيتان لهذه الوقائع في التمزق التدريجي للإمبراطورية العثمانية .

وتنافس الدول العظمى بهدف فرض سيطرتها أو نفوذها على أوربا البلقانية والبلدان الواقعة على الجانب الشرقي للبحر المتوسط"[4].

---

[1] – يلماز أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ،تر، عدنان محمود سلمان، مر وتنق، محمود الأنصاري،مج1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988م، ص 653.

[2] – فريد بك، المصدر السابق، ص 290.

[3] – ياسين بن علي، المرجع السابق، ص 38.

[4] – روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية،ج2،ط1، تر، بشير السباعي، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1993م، ص 05.

"وفي عام 1853حاول القيصر الروسي نقولا الأول يتفق مع بريطانيا على اقتسام أملاك الدولة العثمانية التي وصفها "بالرجل المريض"الذي لا يرجى شفاءه فاقترح استيلاء روسيا على الأستانة في مقابل استيلاء بريطانيا على مصر وكريت"[1].

"والواقع أن اهتمام بريطانيا بالدولة العثمانية يرجع إلى القرن التاسع عشر وقبل ذلك القرن كانت بريطانيا أكثر اهتماما بصداقة روسيا منها بصداقة الدولة العثمانية ، فوجد الوزير الانجليزي أن في تقدم روسيا إلى الجنوب خطرا واضحا على مصالح بريطانيا السياسية والتجارية وفي النصف الأول من القرن التسع عشر وقع حادثان خطيران دفع الدولة الأوربية الكبرى إلى تركيز اهتمامها على الشرق العربي وحملاها على التدخل الفعال في شؤون المسألة الشرقية"[2].

- خلع السلطان مراد

"لم تمض ثلاثة أشهر على سلطنة مراد حتى وضحت عليه علامات الاضطراب العصبي عقب توليه العرش بنحو أسبوع ثم ازدادت هذه الحالة عليه شيئا فشيئا فاجتمع الوزراء في (15 شعبان 1293هـ"31اغسطس 1876م). وقرروا وجوب المبايعة للسلطان عبد الحميد وفي اليوم التالي اجتمع الوزراء ثانية واستدعوا شيخ الإسلام وأهل الحل والعقد وصدرت الفتوى الشرعية بوجوب عزل مراد وفي (18 شعبان 1293هـ "7سبتمبر 1876م.) تقلد السلطان عبد الحميد الثاني الحكم "[3]

-مسألة الديون:

---

[1] – أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، (د.م)، 1993م، ص ص 207–208.

[2] – عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516–1922م)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص ص 441–442.

[3] – محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين الكبار، المرجع السابق، ص ص 33.34.

تولى السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة في وقت، كانت الديون على الدولة تبلغ 2.528.010.880 ليرة عثمانية ، فاستعد لمجابهة الموقف ،لكي يرد من اعتبار الدولة اتجاه الدولة الأجنبية استقدم عددا من الخبراء الماليين الأوربيين فأعدّوا له تقريرا حول إمكانية وفاء هذه الديون وعندما تقرر تشكيل إدارة الديون العامة كان إجمالي هذه الديون قد انخفض إلى 106437234 ليرة"[1].

- إعلان الدستور

كانت الدولة الأوربية نصر على ضرورة إدخال الإصلاح في الدولة العثمانية ومنح المسيحيين نفس حقوق المسيحيين كوسيلة للتقدم مع الزمن، وكان مسلمون أنفسهم يرغبون في العيش في مساواة مع العناصر المسيحية الموجودة في الدولة، وعلى أن يصبح الجميع نفس الحقوق ويخضعون لنفس الالتزامات ويؤدون نفس الواجبات "[2]

أصغى السلطان عبد الحميد لمشورة نبهاء وزراءه الميالين لمنح الدولة العثمانية نظاما دستوريا شوريا يحفظ لجميع رعايا الدولة حقوقهم ويكون بمثابة رابطة بين جميع الشعوب والملل المكونة منها الممالك العثمانية فيكون للجميع سواء في الحقوق والواجبات وتبطل بذلك المنافسات والضغائن الجنسية "العرفية"والدينية لاشتراك الجميع في نظر شؤون الدولة "[3].

"وافق السلطان عبد الحميد الثاني بعد ذلك على إعلان القانون الأساسي "الدستور" لمطابقته لإحكام الشرع الشريف ولحاجة الملك والمِلّة ولقابليتهما له ، وفي 19 ديسمبر

---

[1] – السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص ص 11-12.

[2] – جلال يحي، المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث ، دار المعارف، مصر، 1960م، ص 204.

[3] –محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، تر، إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص 590.

1876م طلب السلطان عبد الحميد الثاني من مدحت باشا[1] إعلان القانون الأساسي فأعلنه في نفس اليوم وكان القانون مقتبسا عن دستور بلجيكا وفرنسا وانجلترا والولايات المتحدة وصيغ في 119 مادة تضمنت حقوق السلطان في الحكم فاعتبره القانون مقدسا وغير مسؤول "[2].

"وهو يتكون من مجلسين "الدستور "مجلس الأعيان الذي يعين السلطان أعضاءه مدى الحياة على ألا

يقل سن العضو عن أربعين عاما ومجلس النواب وأطلق عليه اسم مجلس المبعوثان يعين أعضاءه عن طريق إجراء انتخابات عامة يجتمع المجلسان كل سنة في دورة عادية "[3].

"وقبل ان يتم مجلس المبعوثان دورة انعقاده الثانية أمر عبد الحميد الثاني بفض المجلس وفي عام 1878 انتهز فرصة قيام الحرب مع روسيا وألغى الدستور "[4]

"وفي أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني تألفت الجمعيات السورية من أعداء الدولة في الداخل والخارج واتفق الأعداء فيما بينهم ضد السلطان الذي وقف في وجه أطماعهم ونزواتهم ....ولعل جمعية الاتحاد والترقي الذي ورد ذكرها كانت السباقة للمنادات بإعادة الدستور حيث استغلت الظروف الحرجة التي تمر بها الدولة في ذلك الوقت، فرضخ السلطان عبد الحميد الثاني بإعادة القانون الأساسي للمرة الثانية سنة 1908م[5].

الأوضاع الخارجية:

---

[1] – مدحت باشا(1822–1883م)، ولد مدحت باشا في الأستانة سنة 1822م، والده الحاج أفندي علي، ألحق مدحت باشا اولاً بسكرتارية الصدارة العظمى في الأستانة، ثم انتقل منها إلى مناصب مختلفة في الولايات.ينظر، جورجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن الـ 19م ،ج1، كلمات للترجمة والنشر، مصر،(د.ت)، ص 380.

[2] – عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 270.

[3] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 499.

[4] – عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 283.

[5] – محمد قربان نيازملا، المرجع السابق، ص 57.

تولى السلطان عبد الحميد الحكم في ظروف صعبة ،فقد كانت الدولة العثمانية آنذاك تعاني من أزمات وثورات حادة في البلقان وغيرها من اجل الانفصال عن الدولة العثمانية نذكر أهمها:

- تمردات البوسنة والهرسك:

واجه السلطان عبد الحميد الثاني منذ اليوم الأول الذي ارتقى فيه العرش موقفا دقيقا وعصبيا ، فقد كانت الأزمات تهدد كيان الدولة فازدادت سرعة انتشار الأفكار الانفصالية[1] ، حيث وجد أن الثورة جامحة تعم إقليمي البوسنة والهرسك يريد سكانها الانفصال عن الدولة العثمانية أو على الأقل الحصول على مزيد من الامتيازات تكفل لهم حكما ذاتيا مسيحيا خالصا [2]، غير أن الثورة قد أخمدت ثم عادوا إلى الثورة التي قمعت أيضا، ولكن النمسا التي كانت وراء الثورة ترغب في ضم البوسنة والهرسك إليها استمرت في تحريض السكان ضد الدولة العثمانية[3].

- تمردات البلغار:

في أبريل 1876م ، عقد المتآمرون البلغار في إحدى مدنها مؤتمراً حضره مندوبون من اللجان المركزية(فيينا وبوخارست عاصمة رومانيا التي كانت لم تزل تحت حكم الدولة العثمانية)، وقرروا إعلان الخروج عن الدولة العثمانية[4].

---

[1] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 224.

[2] – عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها،ج2، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، (د.ت)، ص 307.

[3] – إسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، (د.ت)، ص 189.

[4] – جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء محمد رفعت جمعة، الدولة العثمانية أخطاء يجب ان تصحح، ج2، (د.ن)،(د.م)،(د.ت)، ص 15.

وعندما أنزلت الدولة العثمانية بعض الأسر الشركسية احتج البلغار على ذلك فقاموا بثورة وساعدتهم روسيا والنمسا بالسلاح والأموال، لكن الدولة العثمانية تمكنت من القضاء على هذه الثورة[1].

-حرب الصرب والجبل الأسود:

لقد أوعزت روسيا إلى أميري الصرب والجبل الأسود بإعلان الحرب على الدولة العثمانية حيث أمدتها بالسلاح ، بل إن روسيا أرسلت العديد من الضباط بقيادة أحد قُوادها إلى بلاد الصرب ليقود زمام جيشها وبذلك كانت روسيا هي التي تحارب الدولة العثمانية باسم الصرب[2].

- الحرب الروسية العثمانية:

أرسل الأمير الروسي في 24 آبريل 1877م إلى توفيق بك المكلف برعاية المصالح العثمانية في سان بطرسبرغ كتاباً جاء فيه ان سيّده قيصر الروس رأى نفسه مضطرا وبكل أسف إلى الالتجاء إلى الحرب لتنفيذ مطلبه وهو نصرة المسيحيين من رعايا السلطان[3].

فأبلغ توفيق بك هذا الخطاب إلى الباب العالي، وبعد ذلك أصدرت الدولة العثمانية أوامرها إلى جميع رؤساء الجيوش بملاقاة العدو[4]، وكانت هذه الحرب خسارة فادحة للدولة والأمة إذ راح ضحيتها خلق كثير وفقدت مساحات كثيرة من الأراضي العثمانية ، وقد حاول

---

[1] – إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 189.

[2] – جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء محمد رفعت جمعة، المرجع السابق، ص ص 16-17.

[3] – عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 313.

[4] – محمد فريد ، المصدر السابق، ص ص 489-490.

عبد الحميد الثاني تفادي وقوع الحرب وأراد أن يجرب الحلول السياسية لكن مجلس الوزراء اتخذ قرار أدى إلى نشوب الحرب[1].

انتهت الحرب الروسية العثمانية في أواخر شهر فبراير سنة 1878م،وكان الفوز فيها للروس ،وعقد معهم السلطان شروط الصلح الابتدائية المعروفة في معاهدة استيفانوس[2].

- معاهدة استيفانوس:

أجبرت روسيا الدولة العثمانية على توقيع معاهدة استيفانوس أو ما يسمى بالصلح النهائي وهو في الحقيقة لم يكن صلحاً إنما شروطا مجحفة أملتها الحكومة الروسية على الدولة العثمانية ، وطلبت توقيعها قبل يوم 03 مارس 1878م[3]، وقد مزقت هذه المعاهدة أجزاء من الدولة العثمانية ، وأقامت عليه كيانات مستقلة مثل الجبل الأسود ، صربيا، ورومانيا، وبلغاريا[4]، وبهذا لم يتبق للعثمانيين في أوروبا سوى جزء صغير في شبه جزيرة البلقان[5]

- احتلال تونس:

لقد ادعت فرنسا التي كانت تحتل الجزائر في تلك الفترة أن هناك استفزازات على الحدود التونسية الجزائرية ، وعلى الفور حركت قوة من ثلاثين ألف جندي باتجاه العاصمة [6] ، فاحتلت تونس وفرضت على الباي معاهدة الباردو في 02 آذار 1881م، واكتفى السلطان عبد الحميد الثاني بإرسال برقية الاحتجاج إلى حكومة باريس[7].

- احتلال مصر:

---

[1] – السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 12.

[2] – عزتلو يوسف أصاف بك، المصدر السابق، ص 182.

[3] – يلماز أوزتونا، مج1،المصدر السابق، ص 24.

[4] – جمعة علي أحمد لين، ج2،ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،(د.م)، 1924م، ص 24.

[5] – السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 62.

[6] – جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء محمد رفعت جمعة، المرجع السابق، ص 27.

[7] – أحمد طربين، تاريخ المشرق العربي ، المطبعة الجديدة، دمشق، 1986م، ص 279.

كما حدث منذ مؤتمر برلين 1878م تغيير جوهري في سياسة بريطانيا اتجاه الإمبراطورية العثمانية، فبدأت تتخلى عن السياسة التقليدية التي اتبعتها معظم فترات القرن الـ 19م (سياسة المحافظة على كيان الإمبراطورية العثمانية) وأصبحت بريطانيا ترغب في تقسيم أملاك هذه الإمبراطورية ، فقامت باحتلال مصر في عام 1882م [1].

وفي الأخير نقول أن الدولة العثمانية قد مرت في القرن الـ 19م بظروف داخلية صعبة فقد واجهتها الحروب من جهة والمتمردات من جهة ، وهذا ما أدى إلى إضعافها.

المبحث الثالث: أوضاع بلاد الشام في القرن الـ 19

الشام أو الشآم اسم أطلقه العرب منذ القرن الرابع أو الخامس للميلاد على الأراضي الممتدة من نهر الفرات شرقا إلى البحر المتوسط غربا ومن جبال طوروس شمالاً إلى مشارف صحراء سيناء جنوبا[2].

وفي العهد العثماني أطلقت على الأقاليم أو الولايات العثمانية بالشام حلب ودمشق وجبل لبنان والقدس اسم سوريا.

أما المفهوم الشائع فإن " الشام" تشمل كل من سورية ولبنان والأردن وفلسطين التاريخية " الضفة الغربية" ، قطاع غزة، وأجزاء من تركيا وصولاً إلى جبال طوروس ، وهي تعرف أيضا بسوريا الكبرى[3].

قد مرت بلاد الشام في القرن الـ 19م بأحداث كثيرة نذكر أهمها:

– اليقظة الفكرية وانتشار القومية:

[1] – عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 284.

[2] – معاد محارب، تغيرات الخريطة السورية من العهد العثماني حتى اليوم، دراسة صادرة عن مركز إدراك للدارسات والاستشارات،(د.م)، 2017م، ص 6.

[3] – منصور عبد الحكيم، الشام على أعتاب النهاية دار الكتاب الغربي، دمشق، (د.ت)، ص 11.

في النصف الأول من القرن الـ 19م بدأت اليقظة الفكرية تنتشر في بلاد الشام خاصة في لبنان ، وذلك بتأسيس المدارس والمعاهد العلمية، ففي سنة 1823م وصل أول مرسل أمريكي إلى بيروت ، كما تم إرسال عدد من الطلاب اللبنانيين إلى القاهرة للدراسة[1].

وقد كان للأدباء دور في نشر الوعي الفكري والقومي ، إذ كان لهم نشاط ثقافي مشترك في بلاد الشام عبر تأسيس الجمعيات ففي سنة 1823 ظهرت أولى الجمعيات العربية في بيروت وهي جمعية الآداب والعلوم التي أسسها المرسلون الأمريكيون بالتعاون مع بعض الشخصيات العربية، ثم قامت بعد ذلك الجمعية العلمية السورية بعد عام 1852م[2].

كما ساهم نشاط المبشرين خاصة الأمريكيين في إيقاظ روح القومية العربية في بلاد الشام فقد فتحوا مدارس مختلفة في بيروت والقدس ، كما حولوا إحدى مدارسهم إلى كلية للمعلمين وأنشأوا كلية بروتستانتية سورية في بيروت سنة 1866م ، وكانت تُدرس باللغة العربية[3].

ولاحقاً أيضا سنرى أن حملة إبراهيم باشا[4] على بلاد الشام ساهمت أيضا في اليقظة العربية ، وذلك من خلال فتح المدارس الثانوية في المدن الكبرى، رغم أن هذا الأخير لم يكن هدفه الحقيقي نشر التعليم في حدّ ذاته بل اتخذه كوسيلة لتحقيق أهدافه السياسية والعسكرية[5] .

---

[1] – زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، لبنان، (د،ت)، ص229.

[2] – علي عبد المنعم شعيب، التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط1، دار الفارابي، لبنان، 2005، ص ص، 165-166.

[3] – جلال يحي، المرجع السابق، ص،183.

[4] – **إبراهيم باشا**، ولد إبراهيم باشا عام 1789، وهو الابن الأكبر لمحمد علي باشا، استدعاه والده مع شقيقه إلى مصر عام 1805م بعد أن عين محمد علي باشا واليا عليها من قبل السلطان العثماني، قاد حملة ضد سوريا عام 1831،وتوفي عام 1848م. ينظر، مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا ، تح وتق، المحامي أحمد غسان سبانو، سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق والشام،(د.ن)،(د.م)،ص 11.

[5] – زاهية قدورة، المرجع السابق، ص 182.

وبموازاة المرحلة الفكرية في نمو الوعي القومي العربي بدأت مرحلة العمل السياسي العربي الذي ظهر له أول جهد عام 1875م ، وذلك من خلال تأسيس نخبة من الأدباء والمثقفين العرب جمعية سرية في بيروت ، وكان اغلب أعضاءها من النصارى وقد حرضوا الشعب على الثورة ضدّ العثمانيين ووزعوا مناشير تطالب باستقلال سوريا[1].

وهنا نستنتج انه من خلال الإرساليات العلمية والتبشيرية واحتكاك سكان بلاد الشام بغيرهم من العرب أو الغرب تولدت لديهم اليقظة الفكرية والنزعة القومية وفي مقابل ذلك لم تولي الدولة العثمانية اهتماما لهذا التطور الفكري وهذا ما جعلها غير قادرة على مواجهته.

- الحملة المصرية على بلاد الشام 1831م:

توجهت الحملة بقيادة إبراهيم باشا من القاهرة باتجاه غزة عام 1831م، حيث احتل غزة ويافا وحيفا واقترب من عكا التي سقطت عام 1832م بعد حصار دام 6 أشهر، كما تابع الجيش المصري زحفه باتجاه دمشق التي سقطت دون مقاومة ثم حمص و حماه ثم حلب ، واستمرت انتصارات وتوسعات إبراهيم باشا إلى أن دخلت في حكمه وأصبحت مصر المركز الأعلى لحكومة بلاد الشام، وصار إبراهيم باشا حاكماً عاماً للبلاد السورية وقائداً عاما للجيوش المصرية وأخذ في تنظيم الأمور الإدارية والسياسية والعسكرية لسوريا[2]، ويمكن أن نذكر أهم إصلاحاته في بلاد الشام:

- ✓ إعادة تنظيم أمور الدولة إدارياً ، واعتماد الحكم المركزي.
- ✓ تنشيط التجارة داخلياً وخارجياً.
- ✓ نشر الوعي القومي وسط الشعوب العربية.

[1] – علي عبد المنعم شعيب، المرجع السابق، ص169.

[2] – عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 348.

- ✓ الاهتمام بالتعليم وإجراء إصلاحات في القطاع، حيث أسس أول مطبعة في لبنان عام 1834م.
- ✓ تشجيع وتنشيط الزراعة وتحديد الضرائب[1].

لكن هذه الإصلاحات لم تكن كافية ، فسرعان ما بدأت الأحوال تسوء، مع ظهور وانتشار الحركات والتمردات والفتن ، فكانت أولى حركات التمرد عام 1834م ، فقد وجدت الدول الأجنبية ذلك مبرراً لتدخلها، فتدخل أسطولها لمحاربة المصريين ، وكان الأسطول يضم كل من انجلترا، روسيا، النمسا، بروسيا والدولة العثمانية ، أما فرنسا فكانت حليفة محمد علي[2].

وقد وقعت قرب بيروت أولى المعارك بين الدول المتحالفة وقوات إبراهيم باشا في 10 أكتوبر 1840م ، انسحبت من خلالها القوات المصرية وتابع الحلفاء سيطرتهم على الساحل السوري، ثم سقطت عكا في 3 نوفمبر 1840م وحُوصرت قوات إبراهيم باشا، كما قام الأسطول الانجليزي بالاقتراب من الإسكندرية وهنا وجد نفسه عاجزا عن الاستمرار فأصدر في 29 نوفمبر 1840م مرسوماً يقضي بجلائه فوراً عن بلاد الشام[3].

تعتبر حملة إبراهيم باشا على سوريا(1831-1840م) من أهم الأحداث التي وقعت في بلاد الشام ، حيث بقيت تحت الحكم المصري حوالي تسع سنوات إلى أن تدخلت الدول الأوروبية والدولة العثمانية بالضغط على إبراهيم باشا، وذلك من اجل الحفاظ على مصالحهم.

- الأطماع الأوروبية في بلاد الشام:

كانت الدول الأوروبية تطمح في استعمار بلاد الشام ، حيث قامت بوضع مخططات استعمارية في البلاد وخاصة فلسطين ، وذلك من اجل إقامة دولة يهودية ،فكانت بدايتها

---

[1] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 16.

[2] – زاهية قدورة، المرجع السابق، ص 291.

[3] – مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ص 20.

إقامة أول قنصلية أوروبية في القدس عام1838م وهدفها استمالة اليهود وتحريضهم ضد الدولة العثمانية ، وفي عام 1841م أنشأت بروسيا وبريطانيا أول أسقفية في القدس[1] .

وبعدها بقيت المخططات والمفاوضات سارية لغاية انعقاد مؤتمر بال 1897م وهو تاريخ صياغة المطالب الصهيونية في فلسطين واعتبر بمثابة إعلان للفكرة القومية اليهودية بشكل منظم وواضح ومن أهم قراراته :

- ✓ خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام.
- ✓ إنشاء منظمة صهيونية عالمية بقيادة تيودورهرتزل .
- ✓ بالإضافة إلى إنشاء منظمات ومؤسسات فرعية مرتبطة بالحركة الصهيونية.[2]

وفي الأخير نقول أن بلاد الشام عامة ، وفلسطين خاصة كانت محل أطماع الدول الأوروبية منذ القدم إلا أن هذه الأطماع ازدادت خلال القرن الـ 19م ، فأصبحوا يطمحون في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

إضافة إلى ذلك ذكر أهم الأحداث التي وقعت في الربع الأول من القرن الـ 19م من الناحية الاقتصادية .

نتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية، بدأت الثورات تشمل مختلف مدن الإمبراطورية العثمانية ، ففي سوريا بلغت الحركة قمتها وقد حدثت عام 1825م اضطرابات كثيرة في دمشق ضدّ إصدار فرمان حول تداول العملة في البلاد، وفي نفس العام وقعت انتفاضة في القدس وبيت لحم ونابلس إذ امتنع السكان عن دفع الضرائب ، ثم اندلعت أخرى في نابلس عام 1830م وأخرى في دمشق عام 1831م[3].

---

[1] – زاهية قدورة، المرجع السابق، ص 181.

[2] – سعيد البشاوي وآخرون،تاريخ العالم الحديث والمعاصر، ط1، مركز المناهج ، فلسطين، 2004م، ص 62.

[3] – لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ط9، دار الفارابي، لبنان، 2007م، ص 83.

- الفتن الطائفية:

بعد أن انتهى الحكم المصري عام 1840م، عادت بلاد الشام تحت حكم الدولة العثمانية، حيث تجدد الصراعات والاضطرابات والنزاعات وأخطرها التي نشبت في جبل لبنان بين النصارى والدروز[1].

قادت هذه الفئة المتنافرة إلى تفجير الفتن الطائفية في بلاد الشام، ولا سيما في جبل لبنان سنة 1841م،1845م، و1860م ، بدت المسألة الطائفية خياراً ممكناً لعدد كبير من الشاميين في الفترة العثمانية، واستغلت جماعة من الذميين هذه الفتنة بتدخل الدول الأجنبية حيث وصلت أصداء الحرب إلى أوروبا[2].

فكانت فرنسا وانجلترا من ابرز الدول الأوروبية التي اهتمت بهذه الفتنة فقد كانت هاتان الدولتان تعولان على تقوية الخلاف بين الدروز والموارنة فساندت ظاهريا انجلترا الدروز ، وناصرت فرنسا الموارنة[3] .

وقد أثارت الحرب الأهلية في جبل لبنان 1860م الرأي العام الفرنسي، فأمرت الحكومة الفرنسية قناصلها في بلاد الشام العمل على حماية المسيحيين هناك، وهنا وجدت فرنسا لنفسها ذريعة في التدخل في شؤون البلاد العربية ورأت وزارة الخارجية الفرنسية أن

---

[1] – زاهية قدورة، المرجع السابق، ص 294.

[2] – علي عبد المنعم شعيب، المرجع السابق، ص 161.

[3] – لوتسكي، المصدر السابق، ص 143.

الدعم هذا لا يعني قمع الفتنة وإكراه الدروز على الاستسلام وإنما إعادة الأوضاع إلى سابق عهدها وذلك باتخاذ وسائل جديدة لإصلاح ما خربته الفتنة ، وضمان عدم تجددها[1].

نزلت القوات الفرنسية في بيروت أواخر أوت 1860م ، وقامت في سبتمبر بجولة حربية في البلد، حيث قام الفرنسيون بقمع الفلاحين المتمردين في شمال لبنان لكن سرعان ما تدخلت انجلترا والنمسا ،وطلبت من القوات الفرنسية الانسحاب وهددتها بالحرب فكان يوم 5جوان 1861 آخر موعد للانسحاب ، فتوجهت كل جنود الحملة الفرنسية على متن السفن عائدة إلى فرنسا[2].

نستنتج إن الفتنة الطائفية بين الدروز والموارنة التي أدت إلى إشعال الحروب الأهلية في بلاد الشام، قد ساهم في إشعالها بعض الدول الأجنبية التي كانت تريد استغلال هذه الفتنة لصالحها.

إضافة إلى أن الدولة العثمانية كانت في القرن الـ 19م تعاني من ضعف ومشاكل داخلية وخارجية ، أهمها الحركات الانفصالية والتمردات.

---

[1] – كريم عباس حسون الجبوري، الحملة العسكرية الفرنسية على جبل لبنان (1860–1861م)،، مجلة بابل للدراسات الإنسانية،مج5، ع3،(د.ت)، ص 39.

[2] – لوتسكي، المصدر السابق، ص 153.

الفصل الثاني:

إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني في بلاد الشام

المبحث الأول: تعريف الإصلاحات وبدايتها في الدولة العثمانية

المبحث الثاني: إصلاحاته السياسية والإدارية والعسكرية

المبحث الثالث: إصلاحاته الاقتصادية

المبحث الرابع: إصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية

المبحث الأول: تعريف الإصلاحات وبدايتها في الدولة العثمانية

"كلمة الإصلاحات أوالتنظيمات كلمة عربية، دخلت اللغة العثمانية لتعني في مصطلحها السياسي:حركة التنظيم والإصلاح على المنهج الأوربي الغربي ، ومفردها تنظيم ،وتعني في المصطلح التاريخي حركة الإصلاح التي حدثت في الدولة العثمانية في القرن الـ13هـ-19م مهتدية بالمؤسسات والتنظيمات الأوروبية[1].

فعندما أفاق العثمانيون رأوا أن لا مناص لهم من الاقتباس عن الحضارة الغربية وخاصة في المجالات العسكرية، حيث بدا السلطان سليم الثالث[2] بالموافقة على مشروع لإصلاح الجيش ، فأنشأ قوات النظام الجديد بمساعدة عدد من الضباط الفرنسيين[3] ، حيث ابتدأت محاولات الإصلاح الجديد في عهد السلطان سليم الثالث كما ذكرنا(1203هـ-1222هـ/1789-1807م) ، والذي يعد من أوائل المصلحين والرواد الحقيقيين في التاريخ العثماني كله، وقد قلده من جاء بعده ، واستهدفت إصلاحاته نواحي الحياة كافة إدارية، اقتصادية، عسكرية ، اجتماعية وثقافية[4]، ثم تلي عصر السلطان محمود الثاني[5] فترة من الإصلاحات المعروفة في التاريخ العثماني باسم فترة التنظيمات العثمانية، ولقد تمثلت هذه التنظيمات في سلسلة طويلة من القوانين والنظم[6].

بعدها أدخلت إصلاحات بعد عام 1830م، مسّت الإدارة المركزية وإدارة الولايات بالدرجة الأولى ، وإذ كان بعضها لا يعدو أن يكون شكليا بصورة خالصة، فإنها في واقع

---

[1] – محمد حرب، المرجع السابق، ص 28.

[2] – سليم الثالث (1203-1222هـ/1788-1870م)، عمل سليم الثالث على إصلاح الجيش وفقا للنظام الأوروبي الحديث، إلا أنه واجه صعوبات وذلك لمعارضة الانكشارية لأي إصلاحات، خلع سليم الثالث عن العرش عام (1222-1870م).ينظر، محمود السيّد ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، (د.م)، 2006م، ص 126.

[3] – جميل بيضون، شحادة الناظور، علي عكاشة، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل،(د.م)، 1992م، ص 137.

[4] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 499.

[5] – محمود الثاني، ولد عام 1785م ، تولى السلطة عام 1808م وهو السلطان الثلاثون من سلاطين آل عثمان شقيق السلطان مصطفى الرابع وابن السلطان عبد الحميد الأول ، توفي سنة 1839م.ينظر جورجي زيدان، المرجع السابق، ص 71.

[6] – عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 284.

الأمر تحول حقيقي في الحالة الذهنية وتحول محسوس لهياكل وسير عمل الدولة ، ولا يمس فقط الأشخاص وإنما أيضا العادات وتصور الدولة نفسه[1].

وقد صدرت في هذه السلسلة الطويلة من الإصلاحات ثلاث قوانين بارزة لفتت نظر أوروبا، وكان ذلك هو الهدف الحقيقي من وراء إصدارها، وهذه القوانين هي خط شريف كلخانة (أو منشور الكلخانة) ، والذي صدر في (26شعبان 1255هـ - 3نوفمبر1839م) عند تولية السلطان عبد المجيد[2] الحكم، وخلفه خط همايون والذي أصدره نفس السلطان عام 1856، ودستور عام 1876الذي أصدره السلطان عبد الحميد الثاني[3] وللتوضيح أكثر سنتطرق إلى كل من :

1- خط الشريف كلخانة:

صدر هذا الخط في 3 نوفمبر 1839م بساحة قصر" كلخانة" وأهم ما جاء في هذا المرسوم المساواة بين جميع الرعايا في الدولة أمام القانون وفي مقابل ذلك الإبقاء والمحافظة على الطابع الإسلامي في نفس الوقت، وقد اعتبر هذا المرسوم ضمن المبادئ الدستورية الحديثة[4] ، وأهم ما جاء في خط كلخانة:

- ✓ إصلاح الإدارة والقضاء، حيث انتزع هذا الخط من نفوس الولاة الجرأة على القتل والمصادرة.
- ✓ أمر السلطان بإجراء القرعة العسكرية الشرعية شرط إلا يسبب ذلك ضرر بمنافع البلاد.
- ✓ القضاء على الرشوة التي كانت سائدة في الدولة.

---

[1] – روبير مانتران، المصدر السابق، ص 53.

[2] – **السلطان عبد المجيد الأول**، هو ابن السلطان محمود ولد سنة 1237هـ وجلس على العرش في 1255هـ بالغاً من العمر 18 سنة دامت فترة حكمه 22 سنة .ينظر ، حليم ابراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحف الحليمية في تاريخ الدولة العلية،ط1،مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1988م، ص 213.

[3] – عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 284.

[4] – جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص 139.

- ✓ وعد السلطان استمرار الإصلاح في الدولة العثمانية عن طريق إصدار التنظيمات والقوانين المتعلقة بأمن الأنفس والأموال.
- ✓ طلب السلطان من الصدر الأعظم تعميم خط كلخانة على جميع الولايات وإبلاغه لسفراء الدول الأجنبية.[1]

وقد اعتبر بعض الأوربيين خط شريف كلخانة بمثابة العهد الأعظم بالنسبة للعثمانيين ، فمحتوى هذا المرسوم يؤكد على ضرورة المساواة بين كافة رعايا الدولة ، وهذا الأخير يوفر الايخاء بين الرعايا ويقضي على كافة الحواجز" الملل" ، وذلك من اجل تقوية الدولة العثمانية عن طريق تعزيز ولاء سكانها من مختلف الطوائف(مسلمين، مسيحيين) وإضعاف النزعات الانفصالية[2].

وكان من نتائج خط كلخانة أن تحسنت مالية الدولة بعد تعيين أشخاص لديهم خبرة واسعة في الشؤون المالية ،وقد اخلصوا في عملهم وطبقوا العدالة في جمع الضرائب بعد إن كانوا يتهربون من دفعها ، وبذلك تحسنت موارد الدولة واستخدمت هذه الأموال في المجالات النافعة[3] .

2- الخط الهمايوني:

هو الوعد الإصلاحي الذي صدر في18 فيفري 1856م بعد انتهاء حرب القرم ، وقد تشابه الخط الهمايوني مع خط شريف كلخانة بأنه صدر بمرسوم سلطاني اي انه صدر بأمر من السلطان العثماني، إلا إن الخط الهمايوني كان أكثر دقة في تحديد الإصلاحات التي يجب إجراؤها ، وكان أيضا أكثر اقتباساً من الغرب وأكثر عصرية[4].

وينص هذا المرسوم على ما يلي:

---

[1] – عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 275.

[2] – أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المرجع السابق، ص 201.

[3] – عبد العزيز محمد عوض، مجلة التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، كلية الآداب، جامعة الرياض، (د.ن)، السعودية، ص 86.

[4] – جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص 140.

- ✓ للمواطنين المسيحيين نفس حقوق المواطنين المسلمين ، وتلغى جميع الفروق الموجودة بينهم.
- ✓ لا يجوز للبطارقة أو الأساقفة أو الرهبان جمع الإعانات من جماعتهم وسيتقاضون الرواتب كالموظفين الحكوميين.
- ✓ يكون تشييد الكنائس الجديدة أو إنشاء أوقاف بإذن من الباب العالي.
- ✓ يجند المسيحيون الذين لم يجندوا حتى هذا التاريخ (1856م) ، وللمسيحيين الذين لا يرغبون في أداء الخدمة العسكرية دفع البدل النقدي.
- ✓ يمثل المسيحيون في مجالس الولايات(الايالات) السناجق، والأقضية بنسبة عدد نفوسهم[1].

وقد أدى إصدار هذين المرسومين إلى تباين في ردود الأفعال، فبالنسبة للمسيحيين فقد رحبوا بهذين المرسومين لأنه منح لهم امتيازات ، أما المسلمين فقد قابلو المرسومين بعدم الرضا وذلك بسبب مساواتهم مع المسيحيين ، حيث رأوا بأن الدولة العثمانية قد جارت عليهم بتلك الامتيازات التي منحتها للمسيحيين واعتبرتهم خارج الشريعة وهذا ما أدى إلى الاضطرابات والتوتر في البلاد العربية وخاصة بلاد الشام[2].

ونقول عن الخط الهمايوني انه أعطى امتيازات كبيرة للمسيحيين في شتى المجالات من الفترة الممتدة (1856-1922م).

---

[1] – يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية،مج2،تر، عدنان محمود سلمان،مرا وتنق، محمود الأنصاري،ط1، منشورات مؤسسة فيصل، تركيا، 1990م، ص 56.

[2] – عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، التنصير الأمريكي في بلاد الشام (1834-1914م)،ط1، عربية للطباعة والنشر،(د.م)، 2005م، ص 16.

ونستطيع القول أن محاولات الإصلاح والتجديد العثمانية تعود في جذورها إلى عهد السلطان مصطفى الثالث (1757-1774م)[1]، عندما ظهرت بوادر إصلاح الجيش والمالية، كما أن التنظيمات لم تتوقف بعد عامي 1856-1876م ، بل استمرت حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى وبذلك تكون حركة التنظيمات العثمانية قد استغرقت نحو قرن ونصف من الزمن[2].

المبحث الثاني: الإصلاحات السياسية والإدارية والعسكرية

I- الإصلاحات السياسية والإدارية:

كانت علاقات إيالات[3] بلاد الشام بالحكومة المركزية في اسطنبول أوثق من أية منطقة أخرى بالسلطنة، فدمشق كانت مركز إمارة الحج وحلقة اتصال تجارية بين الداخل والساحل، فيما كانت حلب مركز التجارة الدولية ، وهذا يدل على أن بلاد الشام كانت على رأس ولايات الدولة العثمانية، وقد قامت الحكومة برعاية المؤسسات الإدارية[4]والتربوية والدينية وغيرها، وكانت تترك المناصب للعناصر المحلية في الإدارة والقضاء، وعند وصول السلطان عبد الحميد الثاني للحكم كانت بلاد الشام تحت الحكم العثماني ، فقام بعدة إصلاحات سياسية إدارية استهدف بها زيادة سلطة الوزارة العثمانية المركزية على كل الأقاليم[5].

كانت السلطنة العثمانية تعين الوالي وتعطيه صلاحيات واسعة لتسيير شؤون الولاية وتطلب منه القيام بأعمال أساسية لخدمة الإدارة العثمانية وتحسين صورتها أمام الناس، كما

---

[1] – **مصطفى الثالث (1757-1774م)**، أصبح السلطان مصطفى الثالث السلطان العثماني الجديد بعد وفاة عثمان الثالث ابن عمه ، امتدت فترة السلام في عهده ، حيث اعتمد سياسة التسوية ليتمكن من الحفاظ على الدولة العثمانية ويجنبها خوض الحروب.ينظر، صالح كولن، المرجع السابق، ص 245.

[2] – عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 82.

[3] – إيالة، تعني مقاطعة أو محافظة او إقليم وأُستبدلت بمصطلح ولاية. ينظر، محمود عامر ، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، العددان 117و 118، جامعة دمشق، دمشق، 2013م، ص 365.

[4] – عبد الرؤوف سنو، النزعات الكيانية في الدولة العثمانية (1877-1881م)(بلاد الشام، الحجاز، كردستان، ألبانيا)،ط1، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، 1998م، ص 31.

[5] – جلال يحي، المرجع السابق، ص 208.

أنها ترسل إلى عمالها وولاتها في دمشق أو حلب أو أي منطقة في بلاد الشام لشرح الأوضاع وتفصيلها، وإعطاء حلول والعمل بها[1] .

كما قُسمت الدولة العثمانية إلى ولايات أو ايالات على رأس كل ولاية وُضع مسؤول يسمى والي يتصل مباشرة بالباب العالي[2].

وحسب النظام الإداري العثماني وتطبيقاته على بلاد الشام ، التي قُسمت إلى ولايتين اثنين وسنجق[3] واحد وكان تقسيما متداخلا مما اضطر بالحكومة العثمانية إن تستبدل به نظاما آخر في عام 1887م حيث قسمت بلاد الشام بمقتضى بنوده إلى ثلاث ولايات وسنجقين وهي :ولاية حلب شمالا ،ولاية بيروت غربا وولاية الشام شرقا وسنجق جبل لبنان وسطا بالإضافة إلى سنجق القدس جنوبا[4].

وقد اتسعت ولاية سورية بضم ايالتي طرابلس وصيدا القديمتين ، أما ولاية حلب فقد اتسعت بضم أجزاء الجزيرة والأناضول ، حيث تشكلت ولاية سورية رسمياً سنة 1856م، واستقر اسمها حتى نهاية العهد العثماني، ولكن مُنيت ولاية سورية في عهد التنظيمات بانفصالات متلاحقة ، وأول انفصال حدث في الولاية هو استقلال القدس سنة 1878م

---

[1] – ماري دكران سركو، دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني(1293–1325هـ/1876–1908م)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010م، ص 319.

[2] – جلال يحي، المرجع السابق، ص 208.

[3] – **سنجق sancak**، ومعناها اللغوي العلم واللواء الخاص بالدولة ، ثم خُصّ بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي تعبيراً عن ثقته له ، ثم تطورت الدلالة لتصبح تعني قسم إداري من اقسام الدولة ، ثم حلّت محلّها كلمة اللواء.ينظر، سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مرا، عبد الرزاق محمد حسن بركات، سلسلة3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص 136.

[4] – الجميل سيار ، تكوين العرب الحديث،ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1997م، ص 508.

ليشكل متصرفية[1] مستقلة تخابر الباب العالي وعرف باسم قدس شريف متصرف فلغي ،ويضم متصرفية القدس نواحي يافا واللد والرملة والمجدل وخليل الرحمن وخان يونس[2].

وثاني انفصال مس ولاية سورية هو انفصال مدينة بيروت عام1887م، وقد بررت الدولة العثمانية ذلك بان بيروت ازدادت اهميتها وحساسيتها ، بالإضافة إلى اتساع الولاية واتخاذ ولاتها مدينة دمشق مركزا لهم ولذلك جعلوا منها ولاية مكونة من ألوية بيروت وعكا والبلقاء وطرابلس الشام واللاذقية ، وبعد ذلك صدرت الإرادة السلطانية بتعيين والي على بيروت [3].

كما أن التقسيمات الإدارية في العهد العثماني في بلاد الشام أواخر القرن الـ19م كان كالآتي:

1- ولاية سورية تضم أربع ألوية: الشام،حماه، حوران، الكرك، وواحد وعشرين قضاء وثمان وعشرين ناحية.

2- ولاية حلب:تضم ثلاث ألوية: حلب ، أرفة، ومرعش وواحد وعشرين قضاء واثنان وسبعين ناحية وقرى أخرى.

3- ولاية بيروت وتضم خمسة ألوية: بيروت، عكا، طرابلس ، اللاذقية ، نابلس وخمسة عشر قضاء واثنان وأربعون ناحية وقرى أخرى.

4- متصرفية القدس الشريف وتضم أربعة أقضية: يافا، غزة، بئر السبع، خليل الرحمن وواحد وعشرون ناحية ومزارع تتصل بالباب العالي مباشرة.

---

[1] – **متصرفية**، هي عبارة عن عدة اقضية، التي تشكل المتصرف وعدة متصرفيات تشكل ولاية. ينظر،سهيل صابان، المرجع السابق،ص 200.

[2] – غانية بعيو، التنظيمات العثمانية وأثرها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا(1839– 1876م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008–2009، ص ص 174–175.

[3] – عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا(1864–1914م)، دار المعارف، مصر، 1969م، ص 72.

5- متصرفية جبل لبنان: لها نظام إداري خاص تضم ثمانية أقضية، المتن، كسروان، البترون، جزين الكورة، زحلة، دير القمر، وأربعين ناحية أخرى[1].

كما إن فلسطين كان لها نصيب من هذه التغيرات ففي عهد السلطان عبد الحميد الثاني أصبح لواء القدس بعد فصله عن ولاية صيدا ، بيروت متصرفية ممتازة لا ترتبط بأي إقليم أو ولاية يكون ارتباطها بوزارة الداخلية مركز عاصمة الدولة اسطنبول ، وقد ضمّت متصرفية القدس أربعة أقضية وهي :يافا ،غزة، بئر السبع، والخليل،فضلا عن إحدى عشرة ناحية وثلاثمائة وواحد وثمانون قرية ، ضُمّت بقية الأراضي الفلسطينية صيدا، بيروت ، والتي قُسمت إلى لواءين هما عكا ونابلس[2].

وهكذا كانت القدس منظمة تنظيما دقيقاً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، بالإضافة إلى هذا فقد انشأ السلطان مجلس شورى القدس لمساعدة الحكام والمتصرفين في إدارة حكم متصرفية القدس[3].

نستنتج انه خلال فترة السلطان عبد الحميد الثاني أعيد تقسيم بلاد الشام إداريا إلى ثلاث ولايات وسنجقين، كما نجد أن هذه الإصلاحات قد طبقت في ولايات الشام (سورية، بيروت، حلب ، متصرفية القدس وغيرها) قبل غيرها من الولايات العربية.

أما بالنسبة للوظائف ، فبعد صدور قانون التنظيمات العثمانية فترة إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني ، فان وظائف الحكومة العامة في الإدارة العثمانية لم تكن حكرا على فئة أو طائفة معينة من المواطنين أو المتخرجين من مدارس الحكومة، بل حصل عليها كل من له القدرة في أداء الوظيفة، بالإضافة إلى الكفاءة العلمية ويشمل كافة سكان بلاد

---

[1] – مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، دار أسامة للنشر، الأردن، 2003م، ص 262.

[2] – الجميل سيار، المرجع السابق، ص 437.

[3] – صلاح حسن العاوور السلطان عبد الحميد الثاني وموقفه من أطماع اليهود في القدس، جامعة القدس المفتوحة، غزة، (د.ت)، ص 112.

الشام، كما أن الموظف في تلك الفترة كان يؤمن على مستقبله وذلك بتخصيص راتب التقاعد له ولأهله ، ولهذا أصبحت الوظائف الحكومية تستقطب الكثير من النخب في بلاد الشام [1].

أما بالنسبة للمؤسسات الحكومية والقضائية فقد تأسست في مدينة دمشق عام 1885م الدوائر العدلية التالية:

أ/- دائرة محكمة الاستئناف الحقوقية ودائرة محكمة الاستئناف الجزائية، وترأس هاتين المحكمتين رئيس أول مع هيئة أخرى.

ب/- مجلس العدلية بالإضافة إلى دائرة هيئة الاتهام وقلم محكمة الاستئناف.

أما الدوائر العدلية في لواء الشام فهي: دائرة محكمة الحقوقية ، دائرة محكمة البداية الجزائية، كما قام السلطان عبد الحميد الثاني بإنشاء محاكم في أقضية السويداء وصلخد وخُصص لهذه المحاكم سنة 1901م مبلغ قدره 62070 قرشاً[2].

نستطيع القول بأن السلطان عبد الحميد الثاني اهتم بالإصلاحات السياسية وقام بعدة تغيرات للإدارة في بلاد الشام ، إلا أنه واجه عدة صعوبات عرقلت هذه الإصلاحات خاصة في فلسطين بعد ظهور الحركة الصهيونية.

وقد تعرض السلطان عبد الحميد الثاني بتيارات ضخمة من المطامع الأوروبية والصهيونية في فترة حكمه ، وذلك من اجل تمزيق الإمبراطورية العثمانية بحيث واجه هذا المخطط واصدر قرارات وإصلاحية في فلسطين للتصدي للمشروع الصهيوني، وقد كان ثيودورهرتزل زعيم الصهيونية يحاول مقابلة السلطان عبد الحميد الثاني[3]، والذي كان قد عرض عليه مبالغ مالية ، بالإضافة إلى تسديد ديون الدولة العثمانية وذلك مقابل الحصول على فلسطين ، لكن السلطان رفض ذلك، رغم هذا بقيت مساعي هرتزل قائمة وذلك من

---

[1] – ماري دكران سركو، المرجع السابق ص 26.

[2] – عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص ص 136-137.

[3] – أنور الجندي، المرجع السابق، ص 103.

خلال محاولته لاستمالة السلطان فكان ردّه واضحاً وهو استحالة التفريط بشبر من الأراضي الفلسطينية المقدسة[1].

ومن هنا بدأ السلطان عبد الحميد الثاني بإصدار قرارات منها القرار الذي صدر في أواخر 1881م ضدّ يهود الروس، ويعترض فيه الهجرة اليهودية إلى فلسطين وعدم استقرارهم فيها، بالإضافة إلى إصدار قرار يمنع فيه بيع الأراضي الفلسطينية ويمنع بناء مستعمرات لليهود[2]، كما عينت قبل ذلك رؤوف باشا (1876-1888م)[3] متصرف على القدس ، والذي كان من اشد المعارضين للهجرة اليهودية فكان في صراع معهم منذ 1878م لأنه كان يعرف نواياهم في استيطان فلسطين، ومن أهم ما قام به انه كان بين الحين والأخر يرسل القوات العثمانية للبحث عن اليهود المقيمين بطريقة غير قانونية، كما اصدر السلطان عبد الحميد عام 1878م أوامر بشأن الهجرة اليهودية وُجهت إلى متصرف القدس ويافا يعلمهم بأنه يسمح لليهود الدخول إلى فلسطين كزوار فقط ، وعلى كل يهودي أن يدفع 50 ليرة تركية تعهداً بمغادرة فلسطين خلال 31 يوم[4].

وكل هذا يدل على سياسة السلطان عبد الحميد الإصلاحية ومحاولته الحفاظ على البلاد العربية ، وخاصة الأماكن الإسلامية المقدسة، حيث كان معارضاً لبيع فلسطين أو التفريط بأي شبر من أراضيها ، لأنه كان على دراية بنوايا الصهاينة والمتمثل في تأسيس دولة يهودية في فلسطين، وقد كان نتيجة رفضه لهذا المطلب عزله من قبل جمعية الاتحاد والترقي ، والتي ساندها هرتزل.

---

[1] – أنيس صايغ، يوميات هرتزل،تر،هلدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1968م، ص ص 33-35.

[2] – حسان علي الحلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1897-1909م)، دار الأحد ، بيروت، 1978م، ص 89.

[3] – **رؤوف باشا(1876-1888م)**، ينتمي إلى عائلة تركية قديمة، أكمل تعليمه في باريس وقد مكث في القدس 12 سنة وكان من الموالين للعرب.ينظر، احمد نوري النعيمي ، اليهود والدولة العثمانية،ط1،دار البشير، مؤسسة الرسالة، الأردن، 1997م، ص 80.

[4] – حسان علي الحلاق، المرجع السابق، ص ص 91-95.

❖ **فكرة الجامعة الإسلامية :**

نتيجة للمشاكل التي تعرض لها السلطان عبد الحميد الثاني سواءا على الصعيد الخارجي ، والمتمثل في الزحف الاستعماري إلى دول العالم الإسلامي ،أو على الصعيد الداخلي حيث بدأت الحركات القومية والدعوات العصبية تفتت وحدة الدولة[1]، ولهذا رأى السلطان عبد الحميد الثاني أنها ستحقق أهداف كثيرة في مواجهة أعداء الإسلام والمسلمين ، بالإضافة إلى تقوية مركز الخلافة الإسلامية[2].

كما علق السلطان عبد الحميد الثاني عليها آمالاً في إنقاذ الدولة وإحيائها من جديد من ناحية ، ومن ناحية أخرى وجدت معظم الشعوب الإسلامية من بينها بلاد الشام إن مصلحتها تتطلب الوقوف وراء اكبر دولة إسلامية والتمسك بحركة الجامعة الإسلامية أو على الأقل الترحيب بها وتأييدها[3].

ولهذا جاءت فكرة الجامعة الإسلامية تلبية لنداءات الشعوب الإسلامية التي تعرضت لحلقة من هجمات الاستعمار الأوروبي، إضافة إلى المنظمات السرية اليهودية التي كانت تساند الأقليات المسيحية في العالم العربي خاصة مصر وبلاد الشام على حساب حقوق المسلمين، كما كان للسلطان قناعة كبيرة بأن الأخطار التي تحيط بالدولة العثمانية لا يمكن تجاوزها إلا بالإسلام ، وقد قام بالدعوة لفكرة الجامعة عن طريق انشاء الصحف والمجلات وتعيين الموظفين الدينيين في مختلف أقطار الولايات التابعة للدولة العثمانية بما فيها بلاد الشام[4].

---

[1] – عبد اللطيف بن محمد الحميد، وثائق سكة حديد الحجاز في الأرشيف العثماني، دار الملك عبد العزيز، (د.م)، (د.ت)، ص 62.

[2] –=محمد خير فلاحة، الخلافة العثمانية من المهد الى اللحد،(د.ن)،(د.م)،2005م، ص 71.

[3] – عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية دولة مفترى عليها، ج3، مكتبة الأنجلومصرية،2004م، ص 57.

[4] – زكرياء سليمان بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين(التحالف الصليبي الماسوني الاستعماري وضرب الاتجاه الإسلامي)، ط1، عالم المعرفة،جدة، 1991م، ص ص 239-241.

كما أراد السلطان عبد الحميد الثاني من فكرة الجامعة الإسلامية تحقيق عدة أهداف أهمها:

- ✓ التفاف الشعوب الإسلامية والعربية حول الخلافة العثمانية.
- ✓ توطيد الصلة بين مركز الخلافة وسائر الولايات.
- ✓ تقديم بديل إسلامي للحلول الدستورية و الإصلاحية المطروحة.[1]

وفي الأخير نقول أن السلطان عبد الحميد الثاني لم يكن يهدف إلى إقامة رابطة سياسية فقط تضم كل بلاد المسلمين في وحدة سياسية واحدة، وإنما أراد جمع شعور المسلمين في حركة واحدة تؤكد وحدتهم وتقويهم لمجابهة أعدائهم[2] .

من هنا نستنتج أن مشروع الجامعة الإسلامية كان من أبرز واهم الأعمال التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني، والذي أراد من خلالها ربط أجزاء الأمة الإسلامية بعضها ببعض من جهة ، ومقاومته للمشروع الصهيوني من جهة أخرى.

II- الإصلاحات العسكرية:

اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بالجانب العسكري، حيث قام بعدة إصلاحات، ومنها إنشاء الجيش الخامس الذي كان مقره مدينة دمشق وذلك لما لها من اهمية جغرافية لتوسطها بلاد الشام، لقد اتصف ضباط وأفراد الجيش الخامس بالشجاعة والقوة لأنهم كانوا يتدربون تدريبا عسكرياً شاقاً، كما كانت أنظمة الجيش مقتبسة من أنظمة الجيش الألماني[3].

كما قام السلطان عبد الحميد الثاني بإنشاء المدارس العسكرية على اعتبار أن القوات المسلحة التي لديها القدرة والكفاءة هي التي تستطيع أن تنقذ الإمبراطورية العثمانية وكافة ولاياتها من الانهيار، بالإضافة إلى القضاء على الحركات الانفصالية ولذلك لجا السلطان

---

[1] – صلاح حسن العاوور، المرجع السابق، ص 119.

[2] – محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، المرجع السابق، ص 168.

[3]– عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية(1864– 1914م)، المرجع السابق، ص ص 140–142.

عبد الحميد إلى الخبرات الأجنبية لتدريب الجيش العثماني[1]. فقد استقدم عددا من الجنرالات الألمان المختصين لتدريب الجيش العثماني حسب متطلبات العصر، كما أرسل بعثات عسكرية للتدريب في الجيش الألماني، وافتتح الإعداديات العسكرية وجهز الجيش بالأسلحة الحديثة[2]، كما وجدت في مدينة دمشق مدرسة رشدية عسكرية ضمت(265) تلميذا، ومدرسة إعدادية عسكرية ضمت (80) تلميذا، وزاد الإقبال على المدرسة الرشدية العسكري في بلاد الشام فبلغ عدد طلابها عام 1896م (585) تلميذا[3]، كما شُيّد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الثكنة الحميدية ،والتي تعرف أيضا بالقشلة الحميدية، وقد بنيت في الأيام الأولى للوالي حسين ناظم باشا (1895–1906م)[4]، والذي أمر ببنائها لتكون جامعة لكن حُولت إلى ثكنة وصارت هذه الثكنة العسكرية العثمانية مركزا للجيش الخامس في دمشق ثم صارت مقراً لحامية دمشق من القوات التابعة للجيش الفرنسي[5].

اهتمت الحكومة العثمانية بأمن الطريق فقد أقام السلطان على الطريق بين القدس ويافا عام 1890 خمسة عشر مخفرا لحراستها، ويحتوي كل مخفر على العديد من الجند بقصد حماية المسافرين، كما وُضعت حامية في القلعة المسماة بقلعة مراد مكونة من أربعون

---

[1]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 255.

[2]– مصطفى طوران، أسرار الانقلاب العثماني، تر، كمال خوجة،ط4، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،(د.م)،1985م، ص 38.

[3]– عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (1864–1914م)، المرجع السابق، ص ص 260–261.

[4]– **حسين ناضم باشا**، ولد سنة 1848م بالعاصمة اسطنبول ، وقد تلقى علومه في المدارس العثمانية كما تدرب بالمعسكرات التابعة للدولة، وكان ضابطاً في الجيش العثماني وأصبح رئيس أركان الجيش العثماني، وكان من مؤيدي السلطان والعائلة العثمانية ، ولهذا تم اغتياله من طرف جمعية الاتحاد والترقي.ينظر، علاء السرحان، حسين ناضم باشا القائد العسكري الذي اغتالته جمعية الاتحاد والترقي، موقع أداويت *www.adwit.com*، 2018م.

[5]– ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 336.

جنديا مزودين بالمدافع والبنادق والأسلحة، هذا بالإضافة إلى ثكنة موجودة في الجنوب الشرقي من هذه القلعة ، وقد خُصصت للعساكر الشاهانية[1]،

كانوا يسمونها القشلة الفوقانية بالإضافة إلى قشلة أخرى في القدس تسمى القشلة التحتانية أو السرايا القديمة كما كان يوضع على الباب عدد كبير من الجنود[2].

كل هذا يدل على أن الدولة العثمانية كانت تسعى للحفاظ على أمن بلاد الشام، ومنه أيضا نجد قوات الأمن في سورية والتي تألفت من ثلاث أنواع ، حيث بلغ مجموع هذه القوات عام 1882م (252) نفراً وهذه القوات هي :

- ✓قوة الدرك" جاندرمة" ، وكانت تشرف على حفظ الأمن ومنع التهريب على الحدود وتولت كذلك أشغال المخافر.
- ✓قوة الشرطة (ضبطية).
- ✓قوة المفتشين (البوليس)، وكانت تشرف على التحقيق في المخالفات ومراقبة الأجانب [3].

كما اهتم بعض الولاة في بلاد الشام بالإصلاح العسكري وبنشر الأمن، ومن بينهم:

الوالي عثمان نوري باشا والذي تولى ولاية دمشق مرتين الأولى (1891-1892م) والثانية 1896م، والذي اهتم بدوره بقضايا الجند وأفراد الإدارة العثمانية، حيث كان القاضي يتوجه بأمر منه للنظر في القضايا التي تخص العسكريين[4].

منه نستطيع القول أن الدولة العثمانية قامت بإصلاحات سياسية وعسكرية في بلاد الشام فقسمتها إلى عدة ولايات جديدة، كما اهتم السلطان عبد الحميد بالجانب العسكري

---

[1]- **الشاهانية**، هم جنود السلطان وهم فرق خاصة مدربة تدريبا جيداً .ينظر، صلاح حسن العاوور ، المرجع السابق، ص 114.

[2] – المرجع نفسه، ص 114.

[3] – عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية(1864-1914م)، المرجع السابق، ص 159.

[4] – ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 326.

وخاصة امن السكان ، وهذا أدى إلى تقدم ملحوظ في عدة مجالات انعكس بدوره على الجانب الاقتصادي و الثقافي والاجتماعي[1].

وفي الأخير نستنتج أن بلاد الشام شهدت تطوراً ملحوظاً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني سواءا من الناحية السياسية أو العسكرية ، حيث قام بعدة إصلاحات هامة في هذه المجالات.

المبحث الثالث: إصلاحاته الاقتصادية

اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بالمجال الاقتصادي في بلاد الشام فاعتنى بموارد الولاية ونظم الضرائب وسنّ الأنظمة التي تحصل الضرائب بموجبها، وقد حدّت الدولة العثمانية من سوء استغلال المحصلين والملتزمين للفلاحين وراقبت ميزانية الولاية وأشرفت على إدارتها المالية أشرافا تاماً[2].

أ- الصناعة:

كما ازدهرت الصناعة في بلاد الشام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، فقد وُجد في أسواق المدن الكبرى كدمشق وغيرها كثير من الصناعات المحلية، لهذا شعر السلطان نهاية القرن الـ19م وبداية القرن الـ20م بأهمية وجود مصانع تُدار بالآلات على النمط الأوروبي أدى هذا إلى أحداث مراكز تعليمية لتخريج الطُلاب منها[3].

فقام بإنشاء مؤسسة حديثة للمياه وغرفا للصناعة والزراعة والتجارة، ومد خطوط البرق وانشأ إدارة للبريد ومد السكك الحديدية كما ادخل الترام إلى بلاد الشام[4]، وفي عام 1889 فتح ميناء بيروت الذي شكل منطقة تجارية مهمة وذلك بسبب موقفه الاستراتيجي، كما كان

---

[1] – أحمد زكرياء الشلق، العرب والدولة العثمانية من الخضوع الى المواجهة (1516–1916م)، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر ،2002م، ص 200.

[2] – غانية بعيو، المرجع السابق، ص 196.

[3] – ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص ص 215–224.

[4] – أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 242.

له أهمية كبيرة في التصدير والاستيراد[1]، ونتج عن ذلك ازدياد نسبة الاستيراد والتصدير في موانئ سورية ب50 % من (1883–1885)، كما تحولت مدينة دمشق كذلك في نهاية القرن الـ19م وبداية القرن الـ20م من مركز للإنتاج الحرفي الداخلي إلى مركز لخدمة التجارة الخارجية، ومنه بدأت الحكومة العثمانية في إقامة طرق مواصلات سريعة وجديدة من أجل خدمة المصالح التجارية، كما قام الولي راشد ناشد باشا ، الذي تولى دمشق مرتين الأولى(1874–1875م) ، والثانية (1884–1886م) في آخر ولايته بفتح سوق الحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني[2].

وقد انشأ هذا السوق على مراحل متباعدة وهو يمتد من الباب الغربي للجامع الأموي المعروف بباب البريد إلى باب دائرة المشيرية غرباً ، ولم يكن لهذا السوق نظير بعموم البلدان ، وتم بناؤه على مرحلتين:

– المرحلة الأولى: بني جزء منه في عهد السلطان عبد الحميد الأول (1190هـ–1780م).

– المرحلة الثانية: فكانت من (1848–1886م) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وهذا ما يفسر إطلاق سوق الحميدية على المرحلتين معاً[3].

ب– الزراعة:

اهتمت الدولة العثمانية بالأراضي الزراعية ، وقد خُصصت لها دوائر تسجيل وأطلق عليها " الدفتر الخاقاني"[4]، وكان في دمشق سنة (1284هـ–1876م) دفتر خاقاني واحد ، وبقيت ولاية بيروت تتبع دفتر خاقاني واحد منذ أن أصبحت ولاية مستقلة سنة 1887م، لكن

---

[1]– الجميل سيار، المرجع السابق، ص 435.

[2]– ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص ص 253–254–323.

[3] – ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص ص 323–324.

[4] – **الدفتر الخاقاني أو الدفتر خانـه،** هو الدائرة المعنية بالشؤون المالية في الولاية أو الدولة ،ويسمى مديرها دهو الدائرة المعنية بالشؤون المالية في الولاية أو الدولة ،ويسمى مديرها دفتر دار أي أمين الدفتر ويتم فيها حفظ جميع سجلات الأراضي في الدولة العثمانية، وكانت تسمى دفتر خانة ثم أصبحت تسمى عام 1871م نظارة دفتر خاقاني وسمي المشرف عليها ناظر دفتر خاقاني . ينظر، سهيل صابان،المرجع السابق، ص 113.

في سنة 1891م رأى السلطان ضرورة الفصل بين الولايتين في مصالح الطابو نظراً لكثرتها في ولاية بيروت، فأنشأ دفتراً خاقانياً مستقلاً في بيروت يتواصل مع العاصمة مباشرة[1].

كما بدأت الخلافة العثمانية تفكر في تطوير أساليب الزراعة والفلاحة أكثر عندما رأت النمو في الصادرات ، وازدياد المردود الزراعي فقامت بتأسيس المصرف الزراعي العثماني عام 1888م[2] ،وكان مقر هذا المصرف اسطنبول وانتشرت فروعه في ولاية الدولة ومن جملتها ولاية سورية، وأصبح هذا المصرف يقبل الودائع بفائدة 4% حيث اقبل الفلاحون على هذا المصرف، كما قدم قروضا للفلاحين في دمشق سنة 1908م بلغ مجموعها (294.100) قرش موزعة على أقضية سورية[3].

جـ- الطرق والمواصلات:

بالإضافة إلى هذا فقد شهدت بلاد الشام تطورا في ميدان المواصلات والآلات في القرن الـ19م ،بحيث رأت الدولة العثمانية أهميتها وذلك من خلال تسهيل الخدمات سواءا السياسية ،الاقتصادية، العسكرية أو الاجتماعية والثقافية، لذا رأت الدولة العثمانية ضرورة استخدام السكك الحديدية والبريد والتلغراف والهاتف وغيرهم[4] .

كما قامت الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني بتوسيع الطرق في سورية سنة 1889م على إثر صدور قانون يخصص 10% من واردات البنك الزراعي بتعمير الطرق ،فعمد إلى تنظيمها وأصبحت بلاد الشام شبكة طرق ومواصلات تمتد من غزة وبئر السبع إلى الإسكندرونة مارةً بالمدن الرئيسية، ومن أهم هذه الطرق:

---

[1] – عبد العزيز محمد عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (1864–1914م)، المرجع السابق، ص 235.

[2] – ألبرت حوراني ، فيليب خوري، ماري ويلسون، الشرق الأوسط الحديث، مج1، ط1، مدارات للأبحاث والنشر، مصر 2016م، ص 259.

[3] – عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية(1864–1914م)، المرجع السابق، ص 243.

[4] – حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، الدار الجامعية ، بيروت، 1987م، ص 211.

- ✓ طريق حمص–طرابلس: أنشئ عام 1883م وقد وفر له 9000 ليرة عثمانية ، ثم رُفع إلى 21000 ليرة عثمانية.
- ✓ طريق دمشق–حوران: افتتح هذا الطريق عام 1888م، وقد سهّل تصدير المتوجات إلى سورية.
- ✓ طريق حماه–اللاذقية: بدا العمل في هذا الطريق عام 1891م، لكنه تعرض لمعيقات كثيرة[1].

أما عن إصلاحات السلطان عبد الثاني في مجال السكك الحديدية فقد قام بمدّها واستفادت ولاية سورية من هذه السكك وكانت كالآتي:

- ✓ طريق يافا–القدس (1306هـ–1888م).
- ✓ طريق الشام–مزيريب(1308هـ–1890م).
- ✓ طريق بيروت–دمشق(1309هـ–1892م).

إضافة إلى الخط الحديدي الحجازي مزيريب–المدينة المنورة[2]، وقد افتتح هذا –الخط سنة 1894م، حيث جعل من منطقة حوران ودمشق تابعتين لمرفأ وبيروت، وبقيت هاتان المنطقتان حتى عام 1905م توجهان إلى هذا المرفأ كميات كبيرة من المنتوجات الزراعية، ثم ظهر في هذه الفترة خط جديد منافس له وهو خط درعا–حيفا الذي ربط بخط الحجاز[3].

– سكة حديد الحجاز:

في سنة 1900م أعلن السلطان عبد الحميد الثاني للعالم الإسلامي عن عزمه بناء خط حديدي يمتد من دمشق إلى المدينة المنورة في الحجاز،ليسهل الطريق على الحُجاج

---

[1] – عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية(1864–1914م)، المرجع السابق ،ص ص 272–274.

[2]– جمال عبد الهادي محمد مسعود وآخرون، المرجع السابق، ص 44.

[3]– وجيه كوثراني، بلاد الشام مطلع القرن الـ 20م، السكان والاقتصاد وفلسطين والمشروع الصهيوني، قراءة في الوثائق الدبلوماسية الفرنسية،ط3، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت،2013م، ص 145.

والمسافرين[1]، لأن الحج في تلك الفترة كان عن طريق القوافل من دمشق عبر الصحراء أو عن طريق الماء عبر البحر الأحمر[2].(أنظر الملحق رقم 04).

قد أصدر السلطان عبد الحميد الثاني مرسوم يقضي بتشكيل لجنة عليا في اسطنبول وأخرى في دمشق، على أن تتولى الأولى الإدارة العامة للمشروع وجمع التبرعات ، وعقد الصفقات التجارية وتذليل الصعاب وتامين الموارد اللازمة للبناء[3].

كما نشر السلطان منشور للمسلمين في جميع أنحاء الأرض يناشدهم فيه للمساهمة بالتبرع لإنشاء هذا الخط، وأفتتح السلطان عبد الحميد الثاني قائمة التبرعات بمبلغ (خمسين ألفاً ذهبياً عثمانياً) من ماله الخاص وتقرر دفع مائة ألف ذهباً عثمانياً من صندوق المنافع[4]، وتبعه في ذلك الأمراء والهيئات والأفراد داخل الدولة وخارجها، كما تبرع سكان أهالي بلاد الشام ، وجاء في قائمة المتبرعين التي نشرتها جريدة ثمرات الفنون أسماء الذين تبرعوا في ولاية بيروت مثلاً، وكان مجموعهم (640) يتوزعون على سبع مدن اغلبهم من بيروت[5].

قد أتم المهندسون العثمانيون وعمالهم إنشاء هذا الخط الذي يمتد على مسافة ألف وأربعمائة وخمس وستين كيلومتر، بحيث كانت محطة المدينة المنورة آخر محطة تم بناؤها في هذا المشروع، وأفتتح خط سكك الحديد رسميا في 11 سبتمبر 1908م الموافق لذكرى الثالثة والثلاثين لجلوس عبد الحميد الثاني على العرش[6].

---

[1]– نزار علوان عبد الله، سكة حديد الحجاز وأشراف مكة (1900–1914)رؤية تاريخية لمراحل البناء والموقف المعارض (سكة حديد الحجاز، الفكرة والبناء والموقف المعارض)، كلية التربية، قسم التاريخ، الجامعة المستنصرية، (د.م)، (د.ت)، ص4.

[2]– كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية،ط5، تر، نبيه أمير لفارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص 594.

[3]– صالح موسى دراركه، دراسات في الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام ،ط1، مطبعة السفير، الأردن، 2011م، ص206.

[4]– علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط،ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (د.م)، 2001م، ص 431.

[5] – صالح موسى دراركه، المرجع السابق، ص207.

[6] – مراد دومان، ذكريات السلطان عبد الحميد الثاني، ط1،تر،أحمد عمر أحمد ، دار النيل للطباعة والنشر، مصر ،(د.ت)، ص 145.

عبّر السلطان عبد الحميد الثاني عن فرحه بانجاز هذا الخط ، حيث يقول في مذكراته السياسية:" لقد أثبت الخط الحديدي الحجازي أن بلادنا لم تفقد قابليتها للتطور، وأنه يمكننا إحباط محاولات انجلترا المتكررة في عرقلة أي عمل تقوم به لخدمة بلدنا وأمتنا"[1].

نجد أن السلطان عبد الحميد الثاني حين فكر في انجاز هذا الخط الحديدي الذي يربط دمشق بالمدينة المنورة أن يهدف إلى تسهيل الحج من الناحية الدينية من جهة وتسهيل طرق المواصلات والتبادل التجاري من جهة ثانية ، كما كانت له أهداف سياسية وعسكرية من جهة أخرى[2].

نستنتج أن سكة حديد الحجاز التي أقامها السلطان عبد الحميد الثاني للنهوض بالدولة العثمانية كانت لها أهداف من الناحية الاقتصادية والدينية، كما كانت لها أبعاد سياسية كتقوية مركز الخليفة ولتحقيق أهداف الجامعة الإسلامية.

إضافة إلى خط سكة حديد الحجاز أنشئ خط الترامواي في دمشق وبيروت في أوائل القرن الـ20م، ففي سنة 1904م، نالت شركة بلجيكية امتياز في تسيير حافلات الترام في دمشق أولاً ثم بيروت وأنهت العمل عام 1908م ،وعملت على تنوير المدينتين حيث كان ارتباط ترام بالكهرباء وثيق وبعد أن تم استخدام الكهرباء تم تشغيل الترام[3] .

أما خطوط البرق فقد توسعت بشكل كبير في عهد السلطان عبد الحميد الثاني حيث بلغت مراكز البريد والهاتف في ولاية سورية عام (1318هـ-1900م) خمسة وعشرون مركزاً للبريد و ثمانية عشر مركزا للهاتف[4].

---

[1] – السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 106.

[2] – سعيد بن سفر الغامدي ، موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني(الشام-مصر)،ط1، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، 1992م، ص 117.

[3] – حسان حلاق، بيروت المحروسة، المرجع السابق، ص 205.

[4] – جمال عبد الهادي محمد مسعود وآخرون، المرجع السابق، ص 44.

كما قام الوالي حسين ناضم باشا، الذي تولى دمشق عام (1894–1906م) بربط دمشق بخط البرق الواصل إلى المدينة المنورة ، وقام بتخليد ذلك بنصب تذكاري في ساحة المرجة[1].

أما التلغراف: فقد كان هناك مراكز للتلغراف في البنك والقنيطرة ، ومدينة دمشق وغيرها، كما ازداد عدد مراكز التلغراف سنة (1318هـ–1900م)، وكانت منتشرة في ألوية الشام وحوران والكرك.

أما البريد: فقد اخذ يتطور في بلاد الشام من حيث النقل والإدارة والمعاملة اعتباراً من سنة 1900م، وفي سنة 1905م أصبح البريد يُنقل من دمشق إلى الأستانة بواسطة السكك الحديدية ، وبعد عام 1908م أصبح ينقل من دمشق إلى المدينة المنورة بواسطة سكة حديد الحجاز.

أما الهاتف: فقد أُحدث في ولاية سورية سنة 1908م ،وكان مقتصراً على الأعمال الرسمية فقط ، ولم يُسمح لأهالي بلاد الشام للاشتراك فيه[2].

وفي الأخير نستنتج أن السلطان عبد الحميد الثاني اهتم بالإصلاحات الاقتصادية في بلاد الشام وذلك من اجل تطوير الدولة العثمانية ومحاولة النهوض باقتصاد الولايات التابعة لها العربية عامةً وبلاد الشام خاصةً، محاولاً بذلك إدخال النهج الغربي ، وكان مهتما بالجانب التجاري والصناعي والزراعي، إضافة إلى طرق المواصلات كالسكك الحديدية والترامواي وغيرها.

المبحث الرابع:الإصلاحات الثقافية والاجتماعية

لقد امتاز عهد السلطان عبد الحميد الثاني في الفترة الأولى بانجاز وإكمال ما بدأه السلاطين من قبله، وقد حققت حركة الإصلاح في عهده تقدما وحاول أن ينهض بأمور

---

[1] – ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 332.

[2] – عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (1864–1914م)، المرجع السابق، ص ص 287–289.

الدولة في شتى المجالات من بينها التعليم ، حيث اعتبر إن إصلاح التعليم هو أساس كل إصلاح[1]، فأسس مؤسسة التعليم الابتدائي والمتوسط على الطراز الغربي وأنشأ المدارس الإعدادية[2]، والثانوية في كافة الولايات وافتتح المدارس الابتدائية في جميع القرى ، كما ادخل اللغة الأجنبية وجعل تعليمها إلزاميا في المرحلة الإعدادية[3].

قد عرفت بلاد الشام في العهد العثماني الكثير من المؤسسات التربوية الخاصة والعامة، ففي القرن الـ19م تأسست كليتين في بيروت، حيث كانت المدارس العثمانية في بلاد الشام تنقسم إلى ثلاث مراحل: الابتدائية، الرشدية والعالية.

ومن بين مدارسها: المكتب الإعدادي، المكتب الرشدي، ومكتب الصنائع والتجارة الحميدي، كما كان السلطان عبد الحميد الثاني ينوي إنشاء كلية الطب في بيروت ،لكن وجود مثل هذه الكلية في سورية أدى إلى نقل المشروع إلى دمشق[4] .

أما لواء حماه فكان أقل تقدما من الناحية العلمية على عكس باقي ولايات الشام وذلك بسبب عدم اهتمام الأهالي بالتعليم ،ورغم ذلك فقد كان في حماه مدارس تابعة للدولة العثمانية: وهي المكتب الرشدي الشاهاني،ومدرسة شعبة المعارف، وفي سنة 1885م استطاع السلطان عبد الحميد الثاني أن يوسع في المدارس فأصبح عددها (22) مدرسة ابتدائية ضمّت (125) تلميذ ومدرسة رشدية ضمت(40) تلميذ، أما في حمص فبلغ عدد المدارس فيها (1885م) (21) مدرسة ابتدائية ومدرسة رشدية واحدة[5].

في العقد الأخير من القرن الـ 19م، نشط أعضاء إدارات ولاية الشام في تأسيس المدارس بأنواعها، ففي عهد السلطان عبد الحميد الثاني تأسست إعدادية مدينة دمشق

---

[1] – أحمد طربين، المرجع السابق، ص 280.

[2] – **الإعدادية:** هي مدارس افتتحت سنة 1883م في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وهي تعادل المدارس الثانوية الحالية وسُميت بالإعدادية لأنها تُعد المرحلة الأخيرة للطُلاب الراغبين بدخول الجامعات.ينظر، محمود عامر ، المرجع السابق، ص 361.

[3] – مصطفى طوران، المرجع السابق، ص 280.

[4] – حسان حلاق، بيروت المحروسة فترة السلطان عبد الحميد الثاني، المرجع السابق، ص142.

[5] – ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص ص 261–262.

وإعدادية في مدينة حلب، وفي سنة 1889م أنشئت إعدادية في مدينة القدس ومدرسة أخرى في عكا سنة 1895م، ومدرسة رابعة في نابلس سنة 1897م بلغ عدد طلبتها ستمائة وعشرين طالباً، وبلغت المدارس الرشدية في حلب (09) مدارس من بينها مدرسة رشدية للبنات[1].

أما لواء الكرك فلم يكن يحتوي على مدارس كثيرة، ففي سنة 1885م أنشأ السلطان عبد الحميد الثاني مدرسة حكومية في السلط ضمّت (100) تلميذ[2]، غير ان التوسع في إنشاء المدارس في بلاد الشام كان أواخر العهد العثماني ، ففي عام 1901م أصدرت إدارة المعارف مبلغ 445 ألف قرش لإنشاء المدارس الرشدية بمراكز أقضية جبل الدروز، وفي نفس العام قام والي سوريا مع وكيل مشير الجيش الخامس ومفتش إصلاحات جبل حوران بافتتاح مدرسة رشدية في قرية الشيخ مسكين- مركز اللواء حوران، واثنتي عشرة مدرسة ابتدائية في قضائي درعا وبصر الحرير، ونستطيع القول بان معظم الإنشاءات المدرسية التي كانت في منطقة جبل الدروز وحوران كان يهدف السلطان عبد الحميد من خلالها إصلاح أحوال السكان واجتثاث روح التمرّد والعصيان من نفوسهم[3].

كما نجد كذلك مدحت باشا ، الذي عُيّن على سوريا في نوفمبر 1878م إلى غاية 1880م ، والذي قام بمجموعة من الإصلاحات ، كما شجع الحركة التعليمية المدنية لأن المدارس كانت دينية حتى ذلك الوقت[4]، فأنشأ عام 1878م ثماني مدارس ابتدائية للذكور والإناث في دمشق ودار الصنائع ووضع عقوبة لولي أمر الطفل إذا امتنع عن إرسال ابنه

---

[1] – هيثم محي طالب الجبّوري وزينب حسن الجبّوري، أثر حركة الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني، مجلة جامعة بابل،مج23،(د.م)، ع3، 2015م، ص 1453.

[2] – ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 262.

[3] – عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية(1864–1914م)، المرجع السابق، ص ص 259–260.

[4] – الجميل سيار، المرجع السابق، ص 435.

في سن السادسة إلى المدرسة هادفاً إلى السمّو بدمشق المعروفة بمجدها الحضاري وآثاره العمرانية ، وجعلها تسبق الأستانة[1].

كما لم تكن بلاد الشام تخلو من المدارس الغير إسلامية ، ففي سنة 1886م بلغت المدارس الأجنبية كالآتي:

- لواء الشام: (96) مدرسة ما بين مدارس عادية وعالية للذكور والإناث.
- لواء بيروت: بلغت(18) مدرسة بأنواعها المختلفة.
- لواء اللاذقية والبلقاء وعكا: بلغت (36) مدرسة بأنواعها المختلفة.

وقد تنبه السلطان عبد الحميد الثاني لخطر هذه المدارس الأجنبية في ديار المسلمين عامةً وبلاد الشام خاصة[2]، لأن التعليم الأجنبي الذي كانت تشرف عليه الإرساليات التنصيرية الأثر الكبير في تعميق الطائفية، بالرغم من إن هذه المدارس كانت تساهم في نشر الوعي والثقافة ، إلا أن الدور الذي لعبته مدارس البعثات(الإرساليات التنصيرية) كان خطيراً في بلاد الشام ، حيث أصبح فريسة للانقسامات الطائفية[3].

حيث يقول السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته السياسية عن هذه المدارس :" إن المدارس الخاصة تشكل خطرا كبيرا على بلادنا وكان خطؤنا جسيماً إذ سمحنا لكل دولة في كل زمان ومكان بإنشاء المدارس التي يرغبونها ، وسأحاسب وزير المعارف على إهماله" [4].

كما تأسست في عهد السلطان جمعية سُميت بجمعية المقاصد الخيرية في بيروت عام (1295هـ-1878م) ، وبعد تأسيسها بسنوات قليلة طُلب من والي بيروت والحكومة

---

[1] – منذر معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة، دار إقرأ ، لبنان، (د.ت)، ص ص 101-102.

[2] – محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ،ط1، دار الراوي، الرياض، 2000م، ص ص 59-60.

[3] – محمود صالح منسى، الشرق العربي المعاصر (القسم الأول الهلال الخصيب)،(د.ن)،(د.م)، 1990م، ص 225.

[4] – السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 187.

العثمانية تسليمها بعض الأوقاف الإسلامية بالاستعانة بوارداتها، ولتوسيع نشاطاتها الاجتماعية ولإقامة المدارس للإناث والذكور[1].

قد استجاب السلطان عبد الحميد الثاني بهذا الطلب ومنذ ذلك الحين بدأت جمعية المقاصد الخيرية ومدارسها بالنمو والتطور ، كما سلمتها الحكومة العثمانية بعض الأوقاف منها: وقف الجبانات(المقابر)، وقف جبل التين، وقف قفة الخبز، وقف الشمع، بالإضافة إلى مساعدة السلطان عبد الحميد الثاني لهذه الجمعية في بيروت، وذلك لتأمين منح لطُلابها وإرسال البعض منهم إلى المدرسة الطبية في مصر[2].

نلاحظ هنا أن الأوقاف قد لعبت دورا كبيرا في المساهمة في نشر الثقافة ، وذلك من خلال مساهمتها في بناء المدارس ، لهذا نجد أن السلطان عبد الحميد الثاني كان مهتماً بتنظيم الأوقاف.

في أواخر القرن الـ 19م حاول السلطان أن ينظم الأوقاف في بلاد الشام فأرسل لجنة إلى لواء الكرك عام (1315هـ-1896م) من اجل تنظيم جداول الأوقاف في اللواء، وألحقت نظارة الأوقاف أوقاف نابلس بأوقاف متصرفية القدس لقربها منها وذلك سنة 1877م، وانتظم ديوان أوقاف الشام بعد إعلان الدستور عام 1908م[3]،

كما تجدر الإشارة إلى أهم الأوقاف في فترة السلطان عبد الحميد الثاني في دمشق:

- ✓ وقف السلطان نور الدين في داريا: وهو كمية كبيرة من القمح كانت توزع سنويا على الفقراء.
- ✓ أوقاف المصريين أي المماليك الذين عاشوا في مصر بعد سقوط الشام بيد السلطان سليم .

---

[1] – حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت في القرن الـ 19م، سجلات المحكمة الشرعية، الدار الجامعية، بيروت، 1978، ص 25.

[2] – حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 123.

[3] – عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية(1864-1914م)، المرجع السابق، ص 251.

✓ أوقاف المنشآت الدينية في فلسطين وغيرها من الأوقاف[1].

ومن الملاحظ أن الأملاك الوقفية سواءا في بيروت العثمانية أو في سواها من المدن قد ساهمت مساهمة فعالة في تطوير البنى الاجتماعية لمسلمي بيروت ولبنان ، وهذا ما تمثل في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية[2].

نتيجة للإصلاحات التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني في مجال التعليم أخذ الوعي الثقافي ينتشر والمدارس التعليمية تزداد أكثر ، حيث أدى هذا إلى انتشار الصحافة والطباعة.

نجد أن الصحافة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني انحصرت في هذه الصحف :

– جريدة دمشق 1878م، تبعتها جريدة عُرفت باسم جريدة الشام 1896م، وفي حلب ظهرت أول صحيفة هي صحيفة الشهباء 1878م، تلتها صحيفة الاعتدال الأسبوعية في 1879م الناطقة بالعربية والتركية ، لكن سرعان ما توقفت عن الصدور ،كما ان الرقابة المشددة على الصحف حالت دون تطورها وانتشارها [3].

في سنة 1877م صدرت تعليمات تُطالب أصحاب الصحف بتمجيد السلطان العثماني ، وقد حدّ هذا المرسوم من أعمال الصحف وقيّدها ، ومن بنوده أن على الصحف أن تلتزم بنشر المقالات والأخبار التي ترسلها الحكومة للصحافة، وهذا ما جعلها أشبه بالمعطلة، أما المطابع فتطورت في أواخر القرن الـ19م وتعددت فكانت تتوزع في دمشق وحمص وحماه ، وغيرها من مدن الشام ، حيث وصلت المطبوعات اللبنانية إلى مصر ، كما كان العراق أيضا يستورد كتبه من بيروت ، بالإضافة إلى أن عددا من المؤلفات العراقية

[1] – ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص 39.

[2] – حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن الـ 19م، المرجع السابق، ص 25.

[3] – منذر معاليقي، المرجع السابق، ص 150.

طُبعت في بلاد الشام ، وقد تركزت مطابع بيروت على طباعة الكتب الأدبية والتراثية والدينية[1] .

لكن رغم هذا نجد أن الطباعة في سورية ودمشق كانت قليلة ، وذلك بسبب الرقابة الشديدة والقيود المفروضة عليها ، حيث وُجدت (03) مطابع قبل السلطان عبد الحميد الثاني ، وأُقيمت (05) في عهده لكنها توقفت عن العمل[2] .

كما قام السلطان بتشييد المستشفيات في بلاد الشام أهمها:

– مبنى مستشفى الغربا: تم تشييد هذا المبنى في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام 1899م ، من اجل معالجة الفقراء والأغراب ومنه جاءت تسميته بمستشفى الغربا، كما بُني عند مدخله بركة ماء ، عرف هذا المستشفى في أوائل عهد حسين ناضم باشا باسم المستشفى السلطاني أو الحميدي ثم مستشفى الغربا.

– مدرسة الطب:

أصدر السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1901م ، بإنشاء مدرسة للطب في دمشق كُلف بها كذلك الوالي حسين ناضم باشا وسميت باسم مدرسة الحياة، وعين لها أساتذة من الأستانة يدرسون فيها اللغة التركية [3].

–السبيل الحميدي:

بمناسبة مرور خمسة وعشرين سنة على تولي السلطان عبد الحميد الثاني قام بإنشاء السبيل ، الذي عرف بالسبيل الحميدي ببيروت ، حيث دُشن سنة (1318هـ–1900م)، وقد وصفت الصحف اللبنانية والبيْروتية الحدث بأنه يوماً مشهود نُشرت فيه المسّرات واجتمع فيه

---

[1] – هيثم محي طالب الجبوري و زينب حسن عبد الجبوري، المرجع السابق، ص 1459.

[2] – منذر معاليقي، المرجع السابق، ص 90.

[3] – ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص ص 334–335.

الأهالي ، وتم في يوم تدشين هذا السبيل الحميدي تختين (50) صبيا من أبناء الفقراء في المستشفى العثماني العسكري[1].

-إعادة بناء الجامع الأموي في دمشق (1890-1899م):

تعرض الجامع الأموي بدمشق إلى الاحتراق خمس مرات في عهود مختلفة ، وكان آخرها سنة 1890م، فقام الأهالي بجمع الأموال وتبرع السلطان عبد الحميد الثاني هو أيضا بمبالغ كبيرة لعمارته ، وقد قُسمت مراحل البناء إلى (04) مراحل أساسية:

- المرحلة الأولى (1894-1897م):مرحلة جمع التبرعات وإزالة الأنقاض.
- المرحلة الثانية(1897-1899م): مرحلة الاتفاق على بداية القسم الشرقي للجامع.
- المرحلة الثالثة(1899-1901م): مرحلة الشروع في عمارة القسم الأوسط من الجامع.
- المرحلة الرابعة (1901-1903م): مرحلة إعادة إعمار القسم الغربي من الجامع وفيها اكتمل بناء الجامع وتم افتتاحه رسميا وشعبيا يوم 28 جمادى الأولى (1320هـ-1903م)[2].

وفي الأخير نستنتج أن السلطان عبد الحميد الثاني ، اهتم بالإصلاحات الثقافية والاجتماعية ، حيث قام بإتمام ما جاء به السلاطين السابقين ، وهذا من أجل النهوض بأمور الدولة، فقام بتشييد المدارس بمختلف أنواعها في كافة الولايات والوقوف عليها ، وهذه الأخيرة نتج عنها انتشار الصحافة والطباعة في عهده في بلاد الشام ، كما شيّد المستشفيات وقام برعاية الفقراء.

[1] - حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص 114-117.

[2] - ماري دكران سركو، المرجع السابق، ص ص 351-354.

خاتمة

خاتمة

من خلال دراسة موضوع إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني في بلاد الشام أثناء العهد العثماني ، ومن منطلق محاولة الإجابة عن الإشكالية المطروحة توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات نوردها على النحو التالي:

- ✓ تميزت فترة السلطان عبد الحميد الثاني بالضعف ، حيث عرفت فيه الدولة العثمانية حالة من الاضطراب ، وذلك بظهور الحركات الانفصالية والفتن الطائفية ، جعلت منها فريسة لأطماع الدول الأوروبية ، التي حاولت استغلال ذلك الضعف لصالحها ، وبدأت تنخر في كيان الدولة العثمانية ، مما أدى بالسلطان عبد الحميد الثاني إلى إصدار مجموعة من الإصلاحات لتدارك هذا الوضع.
- ✓ بالرغم من اطلاع السلطان عبد الحميد الثاني على منجزات الحضارة الغربية وإعجابه بها، إلا أنه أراد أن يعطي طابعاً خاصا للإصلاحات التي قادها، حيث سعى للأخذ بما هو ايجابي من الحضارة الغربية دون أن يمس بالمقومات الروحية للحضارة الإسلامية .
- ✓ تميزت إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني بالخصوصية عن غيرها ، فقد حاول التعديل وإدخال إصلاحات جديدة في جميع المجالات ، سواء سياسية ، إدارية، عسكرية، اقتصادية، أو الاجتماعية والثقافية، وهذه الأخيرة كان لها الأثر البالغ في تطور بلاد الشام.
- ✓ تميز عهد السلطان عبد الحميد الثاني أو ما يسمى بالعهد الحميدي بتوسع نطاق التعليم وانتشاره بكثرة في بلاد الشام ، وازدياد المؤسسات التعليمية ، وهذا ما أدى الى انتشار الوعي الثقافي ، كما شهدت بلاد الشام في عهده تطوراً ملحوظا في الجانب الاقتصادي والعسكري.
- ✓ رؤية السلطان عبد الحميد الثاني في فكرة الجامعة الإسلامية التي تبناها عن جمال الدين الأفغاني أنها تمثل العلاج الأمثل للعالم الإسلامي بعد أن أنهكه الفتن والتشتت والمؤامرات التي كانت تحاك من قبل الدول الأوروبية سعيا منها لتفتيت البلاد وإضعافها من

الداخل ، لذلك رغب في توحيد القوى الإسلامية ودعم أواصر الأخوة بين المسلمين في كل مكان للوقوف ضدّ أطماع الدول الأجنبية.

✓ يرجع اهتمام الدولة العثمانية ببلاد الشام كونها ترتكز في منطقة جغرافية مهمة ، ولقربها من عاصمة الدولة ،إضافة إلى احتوائها على المقدسات الإسلامية بفلسطين ، ولهذا أولى السلطان عبد الحميد الثاني اهتماماً خاصاً بها ، وحاول القيام بإصلاحات مسّت مختلف الجوانب وأيضا الرفع من شأن الأمة الإسلامية ومكانتها ، وتعزيز الجانب الديني في نفوس أبنائها.

✓ رغم الإصلاحات التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني ، إلا أنه تعرض لمؤامرات ودسائس من أجل عزله من قبل جمعية الاتحاد والترقي ، وهذه الأخيرة التي حاولت تتريك المنطقة ومحاربة الدين الإسلامي.

وعموما فبسبب التآمر الخارجي والعمالة الداخلية لم تحقق الإصلاحات الأهداف المرجوة منها زد على ذلك أنها جاءت في مرحلة جد متأخر بلغ فيها ضعف الدولة مستويات قياسية.

قـــائـــمـة

الـــمـلاحـق

الملحق رقم (01): السلطان عبد الحميد الثاني[1]

[1] – صالح كولن، المصدر السابق، ص 310.

الملحق رقم (02): صور عبد الحميد الثاني[1]

عبدالحميد الثاني في طفولته

السلطان عبدالحميد الثاني بعد تولية الخلافة

عبدالحميد الثاني في شيخوخته

[1] - موفق بن مرجة: المرجع السابق، ص 63.

الملحق رقم (03): مقارنة بين تقسيمات الادارية في كل من ولاية سورية وبيروت وحلب سنة 1893م[1]

١ ــ ولاية سورية

لواء	قضاء	ناحية	مزارع	قرى
لواء الشام الشريف	٧	١	٥٩	٣٥٧
لواء حماه	٣	٣	—	٣١٦
لواء حوران	٥	٣	٥١	٣٣٨
لواء معان	٣	١	—	٢٥
المجموع	١٨	٨	١١٠	١٠٣٦

٢ ــ ولاية بيروت

لواء	قضاء	ناحية	قرى ومزارع
لواء بيروت	٣	٨	٣٦١
لواء عكا	٤	٤	٢٥٥
لواء طرابلس الشام	٣	٥	٦٨٣
لواء اللاذقية	٣	١٧	١٤٤٠
لواء البلقاء	٣	٩	٢٢٨٠
المجموع	١٦	٤٣	٥٠١٩

٣ ــ ولاية حلب

فى سنة ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م(١)

لواء	قضاء	ناحية	قرى
لواء حلب	١٣	٣٠	١٩٣٥
لواء أورفه	٣	١١	٨٤٢
لواء مرعش	٤	٩	٤٨٤
المجموع	٢٠	٥٠	٣٢٦١

الملحق رقم (04): سكة حديد الحجاز[1]

[1] - عبد العزيز محمد عوض، الادراة العثمانية في سورية (1864-1914م)، ص ص 80-81

[1] - صالح كولن: المرجع السابق، ص 315.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

أ/- الكتب

1. إبراهيم بك حليم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحف الحليمية في تاريخ الدولة العلية،ط1،مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1988م.
2. آصاف عزتلو يوسف بك ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر ، (د.ت) .
3. أوزتونا يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية ،تر، عدنان محمود سلمان، مر وتنق، محمود الأنصاري،مج1+مج2، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988م.
4. بروكلمان كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية،ط5، تر، نبيه أمير لفارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.
5. دومان مراد ، ذكريات السلطان عبد الحميد الثاني، ط1،تر،أحمد عمر أحمد ، دار النيل للطباعة والنشر، مصر ،(د.ت).
6. فريد محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، (د.ت).
7. لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، ط9، دار الفارابي، لبنان، 2007م.
8. مانتران روبير ، تاريخ الدولة العثمانية،ج2،ط1، تر، بشير السباعي، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1993م.
9. المحامي محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، تر، إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981م.
10. مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا ، تح وتق، المحامي سبانو أحمد غسان ، سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق والشام،(د.ن)،(د.م).

ب/ المذكرات الشخصية:

1. السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسة، تر: محمد حرب، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979.
2. صايغ أنيس ، يوميات هرتزل،تر،هلدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1968م.
3. مذكرات الأميرة أوغلي عائشة عثمان ، والدي السلطان عبد الحميد الثاني،ط1، تر، صالح سعداوي، دار البشير ، الأردن، 1991م.

ثانيا: المراجع:

1. أحمد طربين، تاريخ المشرق العربي ، المطبعة الجديدة، دمشق، 1986م.
2. أحمد لين جمعة علي ، ج2،ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،(د.م)، 1924م.
3. البشاوي سعيد ،تاريخ العالم الحديث والمعاصر، ط1، مركز المناهج ، فلسطين، 2004م.
4. بن علي ياسين ، خروج الوهابية عن الخلافة العثمانية، مجلة الزيتونة،(د.م)، 2014م.
5. بني المرجة موفق ،صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، دار الكويت للصحافة، الكويت ، 1948م.
6. بيضون جميل ، شحادة الناظور، علي عكاشة، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل،(د.م)، 1992م.

7. بيومي زكرياء سليمان ، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين(التحالف الصليبي الماسوني الاستعماري وضرب الاتجاه الإسلامي)، ط1، عالم المعرفة،جدة، 1991م.
8. الجندي أنور ، السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، ط1، دار ابن زيدون، لبنان، 1407هـ.
9. حرب محمد ، السلطان عبد الحميد الثاني، آخر سلاطين الدولة الكبار، ط1، دار القلم، دمشق، 1990م.
10. حرب محمد ، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، مصر، 1994م.
11. حلاق حسان ، بيروت المحروسة في العهد العثماني، الدار الجامعية ، بيروت، 1987م.
12. حلاق حسان ، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت في القرن الـ 19م، سجلات المحكمة الشرعية، الدار الجامعية، بيروت، 1978.
13. الحلاق حسان علي ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1897-1909م)، دار الأحد ، بيروت، 1978م.
14. الحميد عبد اللطيف بن محمد ، وثائق سكة حديد الحجاز في الأرشيف العثماني، دار الملك عبد العزيز، (د.م)، (د.ت).
15. حوراني ألبرت ، فيليب خوري، ماري ويلسون، الشرق الأوسط الحديث، مج1، ط1، مدارات للأبحاث والنشر، مصر 2016م.
16. الخالدي محمد فاروق ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ،ط1، دار الراوي، الرياض، 2000م.
17. دراركه صالح موسى ، دراسات في الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام ،ط1، مطبعة السفير، الأردن، 2011م.

18. الدقن السيّد محمد ، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، مصر ، (د.ت).
19. زيدان جورجي ، تراجم مشاهير الشرق في القرن الـ 19م ،ج1، كلمات للترجمة والنشر، مصر ،(د.ت).
20. سركو ماري دكران ، دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني(1293-1325هـ/1876-1908م)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010م.
21. سنو عبد الرؤوف ، النزعات الكيانية في الدولة العثمانية (1877-1881م)(بلاد الشام، الحجاز، كردستان، ألبانيا)،ط1، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، 1998م.
22. سيار الجميل ، تكوين العرب الحديث،ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1997م.
23. السيّد محمود ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، (د.م)، 2006م.
24. شعيب علي عبد المنعم ، التدخل الأجنبي وأزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط1، دار الفارابي، لبنان، 2005.
25. الشلق أحمد زكرياء ، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة (1516-1916م)، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر ،2002م.
26. الشناوي عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانية دولة إسلامية دولة مفترى عليها، ج3، مكتبة الأنجلومصرية،2004م.
27. الشناوي عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها،ج2، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، (د.ت).
28. الصلابي علي محمد محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط،ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (د.م)، 2001م.

29. طقوش محمد سهيل ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،ط3، دار النفائس، لبنان، 2013م.
30. طوران مصطفى ، أسرار الانقلاب العثماني، تر، كمال خوجة،ط4، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،(د.م)،1985م.
31. العاوور صلاح حسن ، السلطان عبد الحميد الثاني وموقفه من أطماع اليهود في القدس، جامعة القدس المفتوحة، غزة، (د.ت).
32. علوان عبد الله نزار ، سكة حديد الحجاز وأشراف مكة (1900-1914)رؤية تاريخية لمراحل البناء والموقف المعارض (سكة حديد الحجاز، الفكرة والبناء والموقف المعارض)، كلية التربية، قسم التاريخ، الجامعة المستنصرية، (د.م)، (د.ت)،.
33. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516-1922م)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
34. عوض عبد العزيز محمد ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا(1864-1914م)، دار المعارف، مصر، 1969م.
35. عيسى عبد الرزاق عبد الرزاق ، التنصير الأمريكي في بلاد الشام (1834-1914م)،ط1، عربية للطباعة والنشر،(د.م)، 2005م.
36. الغامدي سعيد بن سفر ، موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني(الشام-مصر)،ط1، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، 1992م.
37. فلاحة محمد خير ، الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد،(د.ن)،(د.م)،2005م.
38. قدورة زاهية ، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، لبنان، (د،ت).
39. كوثراني وجيه ، بلاد الشام مطلع القرن الـ 20م، السكان والاقتصاد وفلسطين والمشروع الصهيوني، قراءة في الوثائق الدبلوماسية الفرنسية،ط3، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت،2013م.

40. كولن صالح ، سلاطين الدولة العثمانية،ط1،تر، منى جمال الدين، دار النيل، مصر، 2014م.

41. مسعود جمال عبد الهادي محمد ، جمعة وفاء ، محمد رفعت ، الدولة العثمانية أخطاء يجب أن تصحح، ج2، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

42. مصطفى أحمد عبد الرحيم ، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، (د.م)، 1993م.

43. معاذ محارب، تغيرات الخريطة السورية من العهد العثماني حتى اليوم، دراسة صادرة عن مركز إدراك للدارسات والاستشارات،(د.م)، 2017م.

44. معاليقي منذر ، معالم الفكر العربي في عصر النهضة، دار إقرأ ، لبنان، (د.ت).

45. منسى محمود صالح ، الشرق العربي المعاصر (القسم الأول الهلال الخصيب)،(د.ن)،(د.م)، 1990م.

46. منصور عبد الحكيم، الشام على أعتاب النهاية ، دار الكتاب الغربي، دمشق، (د.ت).

47. نيازملا محمد قربان ، السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية،ط1، دار البشائر الإسلامية، لبنان، 1977م.

48. النعيمي احمد نوري ، اليهود والدولة العثمانية،ط1،دار البشير، مؤسسة الرسالة، الأردن، 1997م.

49. ياغي إسماعيل احمد ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، (د.ت).

50. يحي جلال ، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث ، دار المعارف، مصر، 1960م.

ثالثا: الرسائل والأطروحات:

1. بعيو غانية ، التنظيمات العثمانية وأثرها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا(1839- 1876م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008-2009.

رابعا: المجلات والمقالات:

2. الجبوري كريم عباس حسون ، الحملة العسكرية الفرنسية على جبل لبنان (1860-1861م) ، مجلة بابل للدراسات الإنسانية،مج5، ع3،(د.ت).
3. الجبّوري هيثم محي طالب ، الجبّوري زينب حسن ، أثر حركة الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني، مجلة جامعة بابل،مج23،(د.م)، ع3، 2015م.
4. الدوري إسماعيل نوري ، محمود شوكت خديعة الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني، مجلة تكوين العلوم الإنسانية، مج16،(د.م)، ع3، 2009م.
5. عامر محمود ، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، العددان 117و 118، جامعة دمشق، دمشق، 2013م.
6. عوض عبد العزيز محمد ، مجلة التنظيمات العثمانية في الولايات العربية، كلية الآداب، جامعة الرياض، (د.ن)، السعودية.
7. كاظم الهام محمود ، دور يهود الدونمة في انهيار الدولة العثمانية، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، بغداد،ع2012،7م.

خامسا: الموسوعات والمعاجم:

1. الزيدي مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، دار أسامة للنشر، الأردن، 2003م.
2. صابان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مرا، عبد الرزاق بركات محمد حسن ، سلسلة3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.

سادسا: المواقع الالكترونية:

1. السرحان علاء ، حسين ناضم باشا القائد العسكري الذي اغتالته جمعية الاتحاد والترقي، موقع أداويت *www.adwit.com*، 2018م.

فهرس
المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	ص
شكر وتقدير	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	4-1
الفصل الأول: السلطان عبد الحميد الثاني وواقع الدولة العثمانية خلال القرن 19م	
المبحث الأول: التعريف بالسلطان عبد الحميد الثاني	11-6
المبحث الثاني: أوضاع الدولة العثمانية (داخليا-خارجيا)	19-11
المبحث الثالث: أوضاع بلاد الشام قبيل عهد عبد الحميد الثاني	25-19
الفصل الثاني : إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني في بلاد الشام	
المبحث الأول: تعريف الإصلاحات وبدايتها في الدولة العثمانية	31-27
المبحث الثاني: إصلاحاته السياسية والإدارية والعسكرية	41-31
المبحث الثالث: إصلاحاته الاقتصادية	48-41
المبحث الرابع: إصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية	55-48
خاتمة	58-57
الملاحق	63-60
قائمة المصادر والمراجع	72-65
فهرس المحتويات	75-74

بحمد الله